المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

(مصر ذي الحجة سنة ١٣٢٥ — آخره السبت اول فبراير (شباط) سنة ١٩٠٨)



باب تفسير القرآن الحكيم

(مقتبس من الدروس التي كان يلقيها في الأزهر الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه)

(١١٦ : ١١٢) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١٧ : ١١٣) مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ، وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ •

قال الرازي في وجه الاتصال بين هذه الآيات وما قبلها : اعلم ان الله تعالى ذكر في هذه الآيات مرة أحوال الكافرين في كيفية العقاب ، وأخرى أحوال المؤمنين في الثواب ، جامعا بين الزجر والترغيب ، والوعد والوعيد ، فلما وصف من آمن من الكافرين بما تقدم من الصفات الحسنة أتبعه تعالى بوعيد الكفار فقال

﴿ ان الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا ﴾ وأقول قد اختلف المفسرون في المراد بالذين كفروا فقيل هم بنو قريظة والنضير من اليهود وروي هذا القول عن ابن عباس (رضي الله عنهما) وهو الملائم للسياق من حيث كانت الآيات قبله في مؤمني أهل الكتاب ومن حيث حرص اليهود على المال والحياة وأعزها وآثرها حياة الاولاد. وقيل هم مشركو قريش عامة وقيل بل هم أبو سفيان و رهطه خاصة ووجهوه بما نقل من انفاقه المال الكثير على المشركين يوم بدر ويوم أحد. وقيل ان الكلام في الكفار عامة لعموم اللفظ فهو على اطلاقه و يدخل فيه اليهود الذين كانوا مجاورين المسلمين يومئذ وكذا مشركو مكة دخولا أوليا. قالوا أنهم كلهم كانوا يتعززون بكثرة الاموال و يعيرون النبي صلى الله عليه وسلم وأتباعه بالفقر ويقولون : لو كان محمد على الحق ما تركه ربه في هذا الفقر والشدة: وقيل هم المنافقون اذ كان أكثرهم من الاغنياء. ومن كان كثير الاموال والأولاد قلما يشعر بحاجته الى ما عنده من هداية أو علم أو أدب (٩٦: ٦ ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى) وقد سبق لنا بيان ذلك في تفسير قوله تعالى من هذه السورة (ان الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا) (*)

وقد فسر الجلال كغيره « تغني » بتدفع اي لا تدفع شيئا من العذاب عنهم وانما هو من الغناء بمعنى الكفاية ولذلك رد هذا القول الاستاذ الامام واختار ان « شيئا » هو مفعول مطلق قال اي لا تغني عنهم نوعا من أنواع الغناء أو لا تغني غناء ما. (قال) وذكر الاموال والاولاد لان المغرور انما يصده عن اتباع الحق أو النظر في دليله الاستغناء بما هو فيه من النعم وأعظمها الاموال والاولاد فالذي يرى نفسه مستغنيا بمثل ذلك قلما يوجه نظره الى طلب الحق أو يصغي الى الداعي اليه؛ اي ومن لا يوجه نظره الى الحق لا يبصره ومن لم يبصره تخبط في دياجير الضلال عمره حتى يتردى فيهلك الهلاك الابدي ولا ينفعه في الآخرة ماله فيفتدى به او ينتفع بما كان أنفقه منه ولذلك قال (وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)

(*) راجع ص ٢٣١ من جزء التفسير الثالث او مجلد المنار التاسع

لان طبيعة أرواحهم اقتضت ان يكونوا في تلك الهاوية المظلمة المستعرة . ثم مثل حالهم في انفاق أموالهم التي فتنتهم فشغلتهم عن الحق أو أغرتهم بمقاومته فقال

﴿ مثل ما ينفقون في هـذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم فأهلكته ﴾ قال الراغب مثل الشيء (بالتحريك) مثله وشبهه و يطلق على صفة الشيء . والمثل في الكلام عبارة عن قول في شيء يشبه قولا في شيء آخر ليبين احدهما الآخر و يصوره، أي ولو من بعض الوجوه لان بيان الحقائق يكون على حسب المقاصد . والصر بالكسر والصرة شدة البرد وقيل هو البرد عامة حكيت الاخيرة عن ثعلب . وقال الليث الصر البرد الذي يضرب النبات و يحسه(١) اه من لسان العرب وفي الكشاف الصر الريح الباردة نحو الصرصر قال

لا تعدلن أتاويين تضربهم نكباء صر بأصحاب المحلات

كما قالت ليلى الاخيلية

ولم تغلب الخصم الألد وتملأ الـ جفان سديفا يوم نكباء صرصر

ثم قال الزمخشري: فان قلت ما معنى قوله « كمثل ريح فيها صر » قلت فيه أوجه (احدها) ان الصر في صفة الريح بمعنى الباردة فوصف بها القرة(٢) بمعنى « فيها قرة صر » كما تقول « برد بارد » على المبالغة . (والثاني) ان يكون الصر مصدرا في الاصل بمعنى البرد فجيء به على أصله (والثالث) ان يكون من قوله تعالى « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة » ومن قولك : ان ضيعني فلان ففي الله كاف وكافل ؛ قال « وفي الرحمن للضعفاء كافي » اه ونقل اللسان عن ابن الانباري في الآية ثلاثة أقوال « أحدها فيها صر اي برد والثاني فيها تصويت وحركة ونقل عن ابن عباس قول آخر « فيها صر » قال فيها نار اه يعني حرا شديدا وهو احد قولين عنه ومن هنا أخذ الجلال قوله في تفسير الصر : حر أو برد ؛ وأنكر عليه الاستاذ الامام كلمة الحر وقال انه لا يهلك الحرث بمجرد اصابته وإنما

(١) يحسه بحرقه ووقعت في اللسان وشرح القاموس « يحسنه » من التحسين وهو غلط بديهي (٢) القرة بالكسر كالقر بالفتح البرد

يهلكه البرد فهو المراد حتما . أقول وقد اختلف في معنى أصل مادة الصرّ هل هو الصوت أو الشدة والصواب انه الشدة تكون في الصوت ومنه «فأقبلت امرأته في صرة» كما تكون في البرد فالصر هنا هو البرد الشديد حتما وهو قول ابن عباس الذي رواه عنه وعن غيره ابن جرير ولعلهم أخذوا قولهم فيها نار من احراق الزرع

أما المعنى فقد قال الاستاذ الامام ان الريح المهلكة مثل المال الذي ينفقونه في قتالهم وجاههم ونشر سمعتهم وتأييد كلمتهم فيصدهم عن سبيل الله ، وان العقول والاخلاق الحسنة التي هي أصل جميع المنافع هي مثل الحرث أي ان المال الذي ينفقونه فيما ذكر هو الذي أفسد أخلاقهم وأهلك عقولهم بما صرفها عن النظر الصحيح ولفتها عن التفكر في عواقب الامور . ثم أشار الى ما قالوه في جعل التشبيه في المثل مركبا وهو ان حالهم فيما ينفقونه وان كان في الخير كحال الريح ذات الصر المهلكة للزرع فهم لا يستفيدون من نفقتهم شيئا . ومن المفسرين من جعل هذا فيما ينفقونه في عداوة النبي صلى الله عليه وسلم ومقاومة دعوته سواء كان المنفقون هم اليهود أم أهل مكة . ومنهم من جعل ذلك فيما ينفق المنافقون رياء أو تقية . وقد خاب القرشيون وخسروا بنصر الله نبيه والمؤمنين وبفضيحة المنافقين في سورة براءة . وبعض المفسرين يخص هذا الانفاق بما ينفقه الكافر على سبيل البر وهو لا يفيده في الآخرة شيئاً اذ الايمان شرط لقبول الاعمال ونفعها في تلك الدار

أما وصف القوم الذين أهلكت الريح حرثهم بكونهم ظلموا أنفسهم فقد قال الزمخشري في الكشاف مبيناً نكتته ما نصه «فأهلك عقوبة لهم لأن الاهلاك عن سخط أشد وأبلغ» وفي هامش كتب باملائه في ذلك ان النكتة في ذلك هي افادة ان أولئك المنفقين لا يستفيدون شيئاً منه لأن حرث الكافرين الظالمين هو الذي يذهب على الكلية اذ لا منفعة لهم فيه لا في الدنيا ولا في الآخرة فأما حرث المسلم المؤمن فلا يذهب على الكلية لأنه وان كان يذهب صورة الا أنه لا يذهب معنى لما فيه من حصول أغراض لهم في الآخرة والثواب بالصبر على الذهاب» اه

وأقول إن الوصف يشعر بأن الجوائح قد تنزل بأموال الناس من حرث ونسل عقوبة على ذنوب اقترفوها ولكنه ليس نصاً في ذلك لما علمت من تعليل الكشاف آنفا

ولا يعارض ذلك ما ثبت من الأسباب الطبيعية لها لأنه لا يستنكر على الباري الحكيم الذي وضع سنن ارتباط الأسباب بالمسببات في عالم الحس أن يوفق بينها وبين سننه الخفية في إقامة ميزان القسط في البشر لهدايتهم إلى ما به كمالهم من طريق العلوم الحسية التي يستفيدونها من النظر والتجربة ومن طريق الايمان بالغيب الذي يرشد إليه الوحي الالهي. ويسمى ما ترتب عليه حدوث الشيء سببا له وما قارن السبب من نفع بعض العباد وضر بعضهم به حكمة له . وكل من سبب الشيء وحكمته أو حكمه مقصود للخالق الحكيم

وأينا في مذهب داروين العالم الطبيعي الشهير ان الحكمة في ألوان الثمار كالمشمش والخوخ والبرقوق هي إغراء آكلتها من الطير والناس بها لتأكلها فيسقط عجمها (١) على الارض لينبت فيها بسهولة فيحفظ نوعه بتجدد النسل أو ما هذا حاصله . ومن المعلوم بالضرورة أن لتلك الألوان أسبابا طبيعية تتعلق باستعداد نباتها وتأثير النور فيه . فهل تستنكر على حكمة من وفق بين أسباب تلك الألوان ذات البهجة في الثمار وبين مصلحة الشجر وجمالها وبحفظ النظام العام ببقاء أنواعها أن يوفق بين أسباب إرسال الصواعق والأعاصير وبين عقوبة الظالمين من البشر ليكون لهم زاجران عن الذنوب أحدهما حذر آثارها الطبيعية الضارة بهم فان لكل ذنب ضررا لاجله كان محرما اذ لا يحرم الله على عباده شيئا الا علمهم . وثانيهما ما يخوف المؤمن من إصابة العقوبات الآفاقية إياه بذهاب الجوائح بماله اذا هو بغى وظلم

ومن هذا القبيل ما سألني عنه غير واحد من أهل العلم والبحث وهو جعل الشهب رجوما للشياطين ومنعها اياهم من استراق السمع لمعرفة الوحي من الملائكة مع العلم بأن للشهب أسبابا طبيعية . وجوابه أن الحكيم الخبير ـ الذي يوفق أقدارا لأقدار فيجمع بين السبب ومسببه وبين امور اخرى تسوقها اسباب خاصة بها لحكمة وراء تلك الاسباب ـ هو الذي جعل لهذه الظاهرة الطبيعية ، تلك الحكمة الغيبية التي بينها الوحي ، ونطق بها الذكر ، ومثلها في عالم الطبيعة كثير ، ولعل لبعض

(١) العجم بالتحريك ما في جوف المأكول من النوى أو البزر

الماديات تأثيراً في الارواح الغيبية كتأثيرها في أرواحنا «وما أوتيتم من العلم الا قليلا»

أكتفي هنا بهذا التنبيه الى هذه المسألة التي لم أرَ في كتاب ولم أسمع من لسان أحد قولا فيها وان لها مواضع أخرى من التفسير كقوله تعالى (٤٢: ٣٠ وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) وسنعقد لها فصلا في المقدمة وهنالك نجيب عما يرد عليها من الشبهات

قال تعالى (وما ظلمناهم) يعني أولئك الذين أهلكت الريح ذات الصر حرثهم وذلك انهم هم الذين كانوا ظلموا أنفسهم كما تقدم فكان هلاك زرعهم عقوبة لهم لا إيذاء أنفا وعلى هذا يكون قوله (ولكن أنفسهم يظلمون) تأكيدا ذاهبا بكل شبهة . والظاهر المختار أن الضمير في قوله «وما ظلمناهم» للمنفقين الذين ضرب المثل لبيان حالهم فهم المقصودون بالذات والمعنى ما ظلمهم الله بأن لم ينفعهم بنفقاتهم بل هم الذين ظلموا أنفسهم وحدها دون غيرها باتفاق تلك الاموال في الطرق التي تؤدي الى الخيبة والخسران بحسب سنة الله في أعمال الانسان

أما كونهم يظلمون أنفسهم دون غيرها وحدها لا يظلمهم أحد كما تقدم أخذا من تقديم «أنفسهم» على العامل فهو ظاهر على القول بأن الآية نزلت فيما كان ينفقه أهل مكة كلهم أو بعضهم او اليهود في عداوة النبي صلى الله عليه وسلم ومقاومته اذ كانوا هم الذين اختاروا ذلك لانفسهم ولم يضره (ص) ومن معه بل كانوا سبب سيادته عليهم وتمكنه منهم ، وظاهر أيضا على القول بأن المراد بتلك النفقات ما كانوا يضعه المنافقون في بعض طرق البر رياء وسمعة او تقية من حيث انها لا ينتفع بها في الآخرة ويقولون مثل هذا في الكافر الذي ينفق في طرق البر حبا في البر ورغبة في الخير فانه وان كان أحسن حالا من المرائي لا تفيده نفقته في الآخرة لأن شرطها الايمان وقد ظلم نفسه بترك النظر في الآيات والبينات عليه بعد ما ظهرت له او بالجحود بعد النظر ونهوض الحجة وأعايعنون بقولهم ان نفقته لا تفيده في الآخرة أنها لا تجعله من أهل الجنة ولا يوجد عاقل قط يقول ان الكافرين في الآخرة كلهم سواء لا فرق بين المحسن عملا والمسيء ولا بين فاعل الخير ومقترف الأثم. وسنعود الى هذا البحث في مواضع أخرى

﴿ خطاب الشيخ احمد الاسكندري في اللغة العربية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها السادة الافاضل

اني لا حسبني سعيداً موفقا ان أقف الليلة معبراً بلسان جمهور عظيم من أبناء اللغة العربية وحراسها وكفاة حاجها وحماة ذمارها من حاضري مجلسنا هذا وغير حاضريه ومن كل من يصلي الى القبلة أو ينطق الضاد . أولئك الذين سأري منهم من يشد أزري ويقيم عذري اذا تنكبت عن محجتهم ، او قصرت دون استيعاب آرائهم ، واشتفاف ما في مزادتهم ، فان لكل فكر غاية ، ولكل رأي شرعة ، ورحم الله امرأ استدرك فائتا فنبه اليه ، وأبصر شائنا فدل عليه ، ولا تزال الجماعة من [illegible] وارتياح للحق أني جاءهم ، فان هم استعرضوا الآراء [illegible] في مصارعة الحق غضبا للنفس وتعصبا للهوى فلا والله ان أفلحوا في أمر ، أو ابلوا في عدو

هذا الذي اعرفه فيكم من النصفة في الحكم ، والمظاهرة للحق ، والمحافظ على سلامة اللغة ، والنعرة في تشريف الجنس ، هو الذي اطمعني في حسن الظن بأن مقالي هذا سيستجيش عزائمكم ، ويستثير هممكم ، ويستنصر حفائظكم لمناهضة العجمة التي كادت تجهز على لغتكم ، وتنازعكم وجودكم ، وتنسخ من الدنيا جنسكم وملتكم ، وهو الذي هون عليّ ان ابدأ بالتكلم في ذلك فأقول :

﴿ حالة اللغة في زمنيها الماضي والحال ﴾

شهد العدو قبل الصديق بأن لغة العرب أفصح اللغات بملاقائل ، وأخفها جرساً على سامع ، وانها اجل اللغات بيانا وأعذبها منطقا وأغناها لفظا وأوفرها أسلوبا وأخصرها عبارة وأوضحها تمييزا واعرابا . ولو حاولت الاستشهاد على ذلك بأقوال علماء اللغات من شرقيين وغربيين لصرفت وجهة القول عن موضوع

الية ولما وسعتني ليلة أو ليال ولم يقع ذلك مني في كتاب حافل . ولكني اترك الحكم بصحته لغزير علمكم وجيل انصافكم

هذه اللغة التي خدرها اهلها عن التبذل لسواها وصانوا وجهها اولياؤها عن مسألتها غيرها منذ أزمان سحيقة وعصور متوغلة في القدم يتضاءل امامها التاريخ ويتصاغر دونها عدد المئات والالوف قد تناوبها ما يتناوب كل طويل العمر من سعادة وشقاء، وشدة ورخاء ، فلشد ما تنكر لها الدهر فصابرته، وصارمها الصديق فحاسنته ، كما طالما اشرقت لها أسارير الزمان ، وأطلق لها في كل شيء الرسن والعنان ، قربت بها عصور سعد كانت فيها لغة العلم والحكمة، لغة الخطابة والمحاضرة، لغة الجدل والمناظرة ، لغة الشعر والادب ، لغة الشريعة والدين ، لغة القضاء والاحكام ، لغة القرآن الكريم ، وهي بعد لم تفقد من هذه الخصائص والمزايا إلا قليلا

وما كانت سعادتها وشقاؤها الا باقبال اهلها وادبارهم فانهم كانت لهم الدولة في الملك والعلم ضمت اللغة الى حضنها جميع العلوم والفنون وبسطت جناحيها على سائر المعاني والاغراض و[illegible] بل تعدتهم الى من دان لهم ودخل في عهدهم [illegible] واسلم اللغة أهلها الغريب تقلص ظلها وتقبضت أطرافها وقصرت عن مدافعة ذوي الطول والغلب - تعتبر ذلك بما دخل العربية من الالفاظ والمبالغات واساليب التعظيم والتفخيم من الفارسية والتركية أيام غلبة الديلم والترك والفرس على دولة بني العباس واشتقاقهم منها ممالك وامارات عديدة * وهي اليوم تقاسي عصراً من عصور بؤسها وشقائها هو أشد العصور بأساً وأصعبها مراساً، ليس عصر غلبة أمة على أمة بل عصر غلبة الغرب على الشرق * عصراً جلب الغرب على الشرق بخيله ورجله وعدده واساطيله ولغاته المختلفة وعلومه وفنونه وصناعته وكتبه وجرائده - دهم الغرب الشرق منذ أكثر من قرن بهذه القوة التي لاقبل له بها فوقفت العربية امام هذا القاهر المستأثر بكل خير ومنفعة وقفة عاجز بائس ، وقفة ظمآن على ينبوع عذب لاسبيل له الى وروده

لم يكن هذا الوهن والانكشاف عن خور فطري في العربية او جبن متأصل

فيها ولكن هذا شأن جميع اللغات امام كل انقلاب جديد وحادث عظيم

وقد جرت سنة الوجود على ان مصير اللغات امام الانقلابات العظيمة والحوادث الجسام الى أحد حالين : اما ان تتسامح في قبول كل ما يطرأ عليها من لغة غيرها لاسيما الالفاظ ذات المعاني التي لم تعهدها من قبل فتندمج احداهما في الاخرى على طول الزمان كما اندمجت لغة بقايا عرب الاندلس في اللغة الاسبانيولية وعرب جاوة في لغة الملايو واللغة القبطية والرومية والسورية في العربية . أو يتخلف عنها خليط ليس من اللغتين كما فعلنا نحن في لغة الحادثة فنشأت العامية المختلفة اللهجات المتشعبة المناحي وتبعها اختلاف الاجناس من مصري وشامي وعراقي ومغربي وسوداني وحجازي ويماني . وكما فعلت أمم أوروبا امام لغات المغيرين والفاتحين فنتجت لغات فرعية وامم مختلفة الاجناس . واما ان تتحرز عنها وتتصرف في استعمال ألفاظها لضم هذه المعاني الغريبة اليها بطرق التجوز والاشتقاق واستعمال القريب والعتيق منها فيما له ادنى ملابسة به ، فتحفظ بذلك كيانها وتبقى شكلها بيد انها تتسع وتغزر وتزداد نشاطا ورشاقة ، وبعد أن هي آنست من اهلها روحا قويا وعجيزة سليمة استطالت على اللغة الاجنبية وصادرتها على اعز عزيز عليها من علومها وفنونها

ففي أي طريق من هاتين نسير في تشجيع العربية على اقتحام العقاب وتذليل الصعاب التي تحول دون ورودها نهر العلوم والمعارف الذي تحول مجراه الى جهة الغرب ؟

يقول قوم بسلوك الطريق الاولى ومنهم حضرة خطيبنا الاول وقد سمعتم أقواله

ويقول قوم بسلوك الطريق الثانية واتشرف ان اكون أنا منهم

وها أنا الساعة آتي على الشبه والاعذار التي ينتحلها الفريق الاول ويتوهمون انها تدفع عنهم تهمة الاستسلام والخنوع للغة الاجنبي سواء تعرض لها زميلي السابق او لم يتعرض لها فأقول :

(الشبهة الأولى) ـ يقولون : ان لغة أي أمة ما هي الا اصوات مختلفة

تدل على المعاني التي تقوم بنفس كل فرد منها وتقع تحت ادراكه. وان هذه المعاني والمدركات لا تخرج عن دائرة احتياجاته ومرافقه ومشاهداته بحسب طبيعة القطر الذي نبت فيه والبيئة التي استوطنها فليس يطلب الا ما يعرفه ولا يصف الا ما شاهده من الأناسي وانواع الحيوان والنبات والجماد فان هو انتقل من وطنه الى وطن آخر يباينه طبيعة وسكانا اختلفت احتياجاته ومشاهداته ومعانيه التي كانت تقوم بنفسه واختلفت معارفه واغراضه بقدر مخالفة الوطن الجديد للقديم، فهو لا يستعجم امام هذه المناظر الجديدة ولا يخرس دون التعبير عن اغراضه الحديثة بحجة انه لم يعهدها في وطنه ولم يوضع لها لفظ في لغته بل يجاري طبيعة وطنه الجديد ويساجل الجيل الذي يعاشره فيقتبس من لغته كما اقتبس من معانيه ويتزود من الفاظه كما تزود من المعلومات الحديثة التي أضافها الى علمه.

ومثل الامة في ذلك مثل الفرد وذلك طبيعي في البشر. فان العرب الذين نحن الآن بصدد البحث في لغتهم لم يشذوا عن هذا الناموس الطبيعي بل نقلوا الى لغتهم كثيرا من الالفاظ الفارسية والرومية والحبشية والهيروغليفية والسنسكريتية الخ سواء كان ذلك في عصر جاهليتهم وبداوتهم او في عصر اسلامهم وحضارتهم فقد كان شعراؤهم وتجارهم يدخلون العراق والشام والحبشة ويأتون بألفاظ أممها في شعرهم وحديثهم فلا تلبث ان تنشب بلغتهم وتلوكها السنتهم وتمتزج بارقى طبقات الفصيح من كلامهم. وكفى لذلك دليلا ان القرآن الكريم جاء بهذه الالفاظ في تضاعيف آياته وعباراته البليغة مثل السندس والاستبرق والقسطاس، ولم تتجاف عنها الاحاديث الشريفة وعبارات البلغاء وسمر الخلفاء.

بل تعدت تلك الالفاظ الى اطعمتهم وملابسهم وآنيتهم كالسكباج والطيلسان والسكرجة، على انهم لم تقصر همتهم على نقل الاسماء فحسب بل تصرفوا فيها واشتقوا منها افعالاً وجمعوها جموعاً مختلفة فقالوا: ألجم الفرس اذا ألبسه اللجام، وبهرج عمله اذا ابطله وجعله كالدرهم البهرج، وجمعوا استاذاً على اساتذة ونموذجا على نماذج ونموذجات مما عده ائمة اللغة اصلا من اصول اللغة وسموه بالتعريب وافردوه بالمؤلفات الممتعة. فبعدهذا كله لو أدخلنا في اللغة العربية اسماء الآلات

الحديثة والجواهر للسكشفة والاصطلاحات الطبية كاوضعها أربابها او بنوع من التحريف لم نحدث حدثا في اللغة ولم نجن فيه بفعل منكر وانما نفعل مافعله العرب أنفسهم ونكون بذلك قد خرجنا من الضيق الذي نحن فيه وانتجعنا باللغة منتجعا تشري به و يزيد في فراهتها . ومابرحت اللغات يأخذ بعضها عن بعض، فالانجليزية مثلا تنقل عن الفرنسية مالم يكن فيها من اسماء المعاني والادوات ولاسيا أسماء الادوات واصطلاحات العلوم وكذلك الانجليزية عن هذه وعن غيرها

ونقول في ازالة هذه الشبهة — لانمنع ان اللغات يأخذ بعضها عن بعض، وان العرب أخذت من لغات غيرها ، وان في القرآن والحديث الفاظا أعجمية الاصل ، وان جميع هذا يسمى تعريبا وهو اصل من أصول اللغة . ولكن من هم الذين يأخذون ويضعون ويعربون ويتصرفون في اللغة العربية ،لاشك أنهم اهل ذلك اللسان وهم العرب أنفسهم ، فلاحق لغيرهم في التصرف والتعريب والاشتقاق من الفاظ غيرهم . ولم يقل أحد من أئمة اللغة ونقلتها الثقاة بجواز ادخال الاعاجم والمولدين شيئا من لغتهم في العربية الفصحى وعدهم منها بل مقتوا ذلك وحاربوه ونبهوا الناس اليه في معاجمهم فقالوا انه مولد وانه أعجمي عربه العرب او عربه المولدون ، وربما أفردوا لذلك كتبا ككتاب المعرب للجواليقي والشفاء للشهاب الخفاجي وغيرهما كاقاموا بجمع كثير من الالفاظ التي تقابل ماشاع على السنة أهل زمانهم من المولد والمستعجم وسموه الفصيح كفصيح ثعلب وغيره

ننقل هنا رأي الائمة فيمن له حق التعريب

قال الشهاب الخفاجي نقلا عن الجواليقي : اعلم ان العرب تكلمت بشيء من الاعجمي والصحيح منه (اي مما صار معربا) ماوقع في القرآن والحديث او الشعر القديم او كلام من يوثق بعربيته . فيرون من ذلك التعريب حق العرب وحدهم واما ما عربه غيرهم من المولدين فلم يعدوه من قسم المعرب الذي يصلح استعماله في الفصيح . ولذلك قال الشهاب الخفاجي في آخر مقدمته في الشفاء وقد أترك بعض ما عربوه لعدم وروده عمن يعتد به نحو (بشخانه) الكلمة التي يقولون لها ناموسية . . قال (وهو مولد)

بشخانة قد طرزت قالت بلفظ موجز
على الحريري سما قدري والمطرزي

وقال السيوطي نقلا عن ابن دريد في الجمهرة : باب ماتكلمت به العرب من كلام العجم حتى صار كاللغة فما أخذوه من الفارسية البستان والبهرجان الخ وقال نقلا عن ابن الانباري شارح المقامات : كثيرا ماتغير العرب الاسماء الاعجمية اذا استعملتها كقول الاعشى (وكسرى شهنشاه الذي سار ملكه) الاصل شاهان شاه ، فترون أنه لم يستشهد الا بكلام عربي وهو الاعشى

فالتعريب اذن هو كما قال الجوهري في الصحاح : تعريب الاسم الاعجمي هو ان تتفوه به « العرب » على منهاجها

ولنبحث الآن عمن هم العرب الذين يعتد بعربيتهم في استعمال الالفاظ التي هي من موضوع علم متن اللغة ، قال البغدادي في كتابه خزانة الادب نقلا عن ابن جابر : علوم الادب ستة اللغة والصرف والنحو والمعاني والبيان والبديع والثلاثة الاول لايستشهد عليها الا بكلام العرب ولاريب في ان مبحث الالفاظ العربية هو من مباحث علم اللغة ، وقال الكلام الذي يستشهد به نوعان شعر وغيره فقائل الاول قد قسمه العلماء على طبقات أربع : الطبقة الاولى الشعراء الجاهليون الخ .. ثم استرسل في عد هذه الطبقات حتى اوصلها الى طبقة المولدين الفصحاء فقال ان سيبويه استشهد بشعر بشار بن برد ولم يقف بعضهم عند هذا فاستشهد بشعر مسلم بن الوليد والحسن بن هاني ، ورأى بعض أئمة النحو الاستشهاد بشعر ابي تمام والبحتري والمتنبي ومنهم ابن جني والزمخشري والرضي ثم ذكر البغدادي من النثر المستشهد به القرآن الكريم ونقل اختلافات كثيرة في الحديث اصحها الاستشهاد بما كان رواته من اهل الصدر الاول قبل تدوين الحديث في آخر عصر بني امية الخ

واقول ان العرب الذين يعتد بعربيتهم وينقل عنهم قولهم وكتابتهم بقوا الى اواسط القرن الثالث من الهجرة ، فالشافعي وأمثاله من فقهاء العرب وائمة اللغة وعلية الكتاب والوزراء يعتبرون في كتابة رسائلهم ومؤلفاتهم عربا فصحاء

وقال الامام احمد بن حنبل : كلام الشافعي حجة في اللغة . وسئل غلام ثعلب عن حروف اخذت عن الشافعي مثل (ماغ) فقال كلام الشافعي صحيح • وقد صنف الازهري وهو امام اللغة في عصره كتابا في ايضاح ما اشكل من مختصر المزني وقال في ديباجته : ألفاظ الامام الشافعي عربية محضة ومن عجمة المولدين مصونة . والجهة التي اعتبرنا بها كلام الشافعي عربيا محضا هي التي نعتبر بها كلام الاصمعي ومعاصريه كأبي عبيدة وأبي محمد اليزيدي والكسائي وقطرب وغيرهم، وكان الشنقيطي رحمة الله عليه يثق بفصاحة المأمون الخليفة العباسي ويحتج في العربية بما صح عنه . ولا يبعد عن هؤلاء كثيرا فحول الكتاب من أهل زمانهم كالحسن بن سهل وسهل بن هرون والجاحظ ، فهؤلاء وأمثالهم عرانين الفصاحة وخاطيم العربية وزعماء العلم والكتابة والتصنيف واليهم يرجع كل ما وصل الى الناس من علم وأدب وفقه وكلام ولعل من المبين بعد هذا أن نقول انه بانقضاء عصر هؤلاء الاعلام انقضى عصر العربية الفطرية وفشت العجمة في جميع الامصار واستحالت اللغة الى مستعجمة من ألسنة من كان يتكلم بها العربي والديلمي والرومي والبربري ، فلا يصح لمن خلفت من هؤلاء ان يدخلوا في اللغة شيئا جديدا او يجعلوه لفظا عجميا معربا اذ ليسوا من أهل هذا اللسان وانما هم حكاة له ونقلة لأصوله . ومن نظر في كتب المعرب والدخيل وجد ان كل ما اعتبر فيها معربا فهو اما وارد في كلام العرب القديم أو كلام الله الكريم أو الاحاديث النبوية أو شعر أهل العصر الذي وصفنا اورسائلهم ومصنفاتهم يعرف ذلك كل من نظر في كتاب سيبويه وكتب الجاحظ وكتاب الخراج لابي يوسف ومدونة مالك وكتاب الاغاني . وما يقع في كلام اهل الصناعة بعد هذه العصور البائدة من مثل الوجاق والاردى والسوارى والطبنجة والصنجة والسلامك والقرايزة والصالون فليس من المعرب في شيء وما هو الا اعجمي محض لا يصح استعماله في كلام العرب واذن فلا يصح لنا ان ندخل كلاما أعجميا في اللغة العربية ونزعم تعريبه اذ لسنا اعرابا بالفطرة حتى نملك حق التعريب . وكما لا يجوز لفرنسي أو الطلياني أو الانجليزي ان يزيد شيئا جديدا في اللغة اللاتينية أو اليونانية

أو الهندي الحالي ان يحدث حدثا في السنسكريتية والفهلوية لا يجوز لنا بعد انقراض الاعراب باحد عشر قرنا ان ندخل في لسانهم ما ليس منه . ولو جاز لنا ذلك في الالفاظ وهي اصل اللغة لجازلنا بالاولى في التراكيب والاساليب ، لأنها هيئات للألفاظ واحوال لها ، وهي من اللفظ بمنزلة العرض من الجوهر أو الفرع من الأصل وكنا اسوحنا من الاعراب الذي اضجر كثيرا من متفرنجي زماننا وجعلهم يتسخطون العربية وينتقصون فضلها . وهو رأي لا يعرج على مثله ولا يقول به الا أهل الجسارة ممن لا يتصونون من الشنعة ولا يكترثون بسوء القالة

وبعد فما ورد من المعرب في القرآن الكريم وكلام العرب الجاهليين والاسلاميين ليس الا شيئا يسيرا من الكلام لا يحرج اللغة ولا يتهضمها وما هو بالاضافة الى جميعها الا كقطرة في بحر أو حصاة في فلاة اذ كل ما صح انه معرب في القرآن الكريم لا يزيد عن ستين لفظا غير الاعلام . وقد احصيت جميع ما ورد من المعرب في الكتب التي بايدينا كشفاء الغليل والمزهر وفقه اللغة والاتقان وقصد السبيل ورسالة ابن كمال باشا بعد حذف المكرر والاعلام فلم يرد على سبعمائة كلمة ؛ وهب انها وصلت الى الف أو الفين وخمسمائة ألم يكن اقتصار العرب على هذا القدر الضئيل مع ما كانوا عليه من التبدد والتمشر بين جميع امم الارض برهانا ساطعا على شدة احتفاظهم بلغتهم وحياطتهم لها على ما منيت به من البلايا والمحن ورزئت من المزاحم والفتن مما لو تقحمت فيه لغة أخرى لغارت في غيرها وامست من العاديات والبوائد

فلو جرينا على شبهة القائلين باستعمال الالفاظ الاعجمية التي أحدثتها المدنية الاوروبية من اسماء المصالح والادارات والشركات والآلات واصطلاحات العلوم لطرقنا في العربية لا كثر من عشرين ألف كلمة فان ما نحتاج الى ترجمته من العلوم والفنون والصنائع لا يقل عن أربعين ولا أقل من ان يكون لكل منها خمسمائة اصطلاح وذلك خطب هائل يأتي بنيان اللغة من قواعده وتستأصل له تلك الفلول التي بقيت في رءوسنا منها وما ظنك ببقاء ستة الآف لفظ تستعمل الآن في الجرائد والمؤلفات والرسائل امام هذا السيل الجارف ... ويزيد

الامر ضئنا على ايالة من يرى من أهل هذه الشبهات اشتقاق افعال ومصادر من الالفاظ الاعجمية مثل ما فعله العرب في لجام ونيروج ويريد فقالت ألجم الفرس وبهرج الدرهم وأبرد السفير فيقول هو : « تلفننا لك انجلو اجيشان ليتدبان أحد البنا كير تلغرفه بعمل برنشو « لينا » كما يقول « اترمت الى اوتيل مينا هوس حيث رأينا تيلوتوتوجرافين يلفجرون متش الجمال ثم رجعت متبلا الى الكازينو لشاهدة السينياتوجراف فأوجت ولم افي » · وهي درجة لا تصل اليها الامة الا بخذلان من الله تعالى · ولئن تم ذلك لا قدر الله لتكون اللغة المالطية اقرب الى العربية من لغتنا · ولقد اذكرني ذلك ما أخبرني به بعض ثقات الافاضل ممن حضر مؤتمر الجزائر منذ عامين انه سمع بعض متفرنجة الجزائر يقول : « ركبت أنا والمدموازيل اتاعي في الشاندفير وصلنا انابه الساعة ثمانية سوار » وسأل أحدهم في باريس أين تصلي الصلوات فقال « أصلي في التياتر سيدي ماڤي موسكي » ·

واما ما يقال من ان أمم أوربا لا تأنف ان تدخل في لغاتها لغة غيرها فان ذلك لا يوطننا على تبديل لغاتنا بالقوة والنظاعم عليها هي لغة العامة وهي تتبدل كل يوم · على انهم يأنفون ذلك بعض الانفة ولهذا نقل العلماء والمخترعون الاسماء الحديثة من اللاتيني او اليوناني القديم من حيث بادت أممها وفنيت عصبتهما وما لنا نتبع غيرنا اذا اخطأوا واصبنا نحن ما بقي عندنا من مميزات جنسنا الا هذه المميزة وهي حفظ اللغة والقرآن الكريم · فليتق الله هؤلاء النفر في جنسهم ولغتهم وقرآنهم ولا ينسوا ان لغتهم لغة دين وان في تسليمها تسليما للذات وابادة لعلوم القرآن الكريم والسنة وتشبها بغراب التحس الذي اراد ان يقلد الحجلة فلم تتهيأ له مشيتها ونسي مشيته

(الشبهة الثانية) — يقولون لو نقلنا اسماء الآلات والاصطلاحات العلمية كما هي الى اللغة العربية كما جرينا على اهم قاعدة ذلل بها المتمدنون شموس الامور وحسموا بها كثيرا من الخلاف والنزاع وهي توحيد لسان العلم في جميع اللغات وفي ذلك من تقارب الامم ما لا يخفى ، ونقول في ازالة هذه الشبهة : انما فعلت أمم اوربا ذلك لتقارب اصول لغاتها في الاساليب والبيان ولاشتراكهم في الكتابة بالحروف اللاتينية ولعدم تحفظهم بلغة دين أو جنس

فالكلمة يكتبها الفرنسي بهجائها الخاص كما يكتبها الانجليزي وكثيرا ما تكون مخارج حروفها عندهما سواء - فما الفائدة لنا في مشاركتهم في لسان العلم مع ان كتابتنا غير كتابتهم وحروفنا غير حروفهم ولا مندوحة لنا عن أن نختزل الكلمات الاعجمية التي تزيد عن سبعة احرف ونرجعها الى سبعة او ما دونها عملا بقاعدة التعريب كما اننا نغير مخارج حروفها بحيث لا يمكننا استعمال الكلمة على منهاج لغتنا الا بعد ان تمسخ وتشوه وتعود كلمة اخرى لو قرعت اذن واضعها لما عرفها ولأغرب في الضحك من عملنا ونكون قد باعدنا لغة العلم باكثر مما نريد به التقرب منها واذا أردنا ان نعرف بالضبط ما يقابلون به هذه الكلمات منا فلننظر الى ما فعلوه هم انفسهم عند ما أرادوا ان ينقلوا من لغتنا الى لغتهم فقالوا (افسين) في ابن سينا و(سلدين) في صلاح الدين و(ليزولاما) في العلماء . واظن ان عربيا يسمع هذه ولا ينكرها انما انكار أبعد من الوجود من عنقاء مغرب

(الشبهة الثالثة) - يقولون : اننا بنقلنا الالفاظ الاعجمية كما وضعها اربابها نكون قد احترمنا اعمال غيرنا وحفظنا لهم سبقهم فيما سبقونا فكما لا يحق لنا ان ننسب اختراع ما اخترعوه الى انفسنا لا يحق لنا ان نغير اسماءه

ونقول في دفع هذه الشبهة : نحن نوافقكم على هذا الاصل فيما كان منها اعلاما ومن تكلف تغيير اعلام البلدان والاناس فقد ارتكب شططا أما وهي اسماء اجناس فلا معنى لاستعمالها في العربية على اصلها الا التشهير بلغتنا ورميها بالقصور عن ان تسم هذه الكلمات بطريقة من طرق وضعها كالتعبير بالمرادف والتجوز والاشتقاق وكلها طرق قياسية في اللغة استعملتها العرب في وضع مصطلحات علومهم وعلوم غيرهم مما ترجموه من اليونانية وغيرها كما سنفصل ذلك بعد . واظن اننا لو سألنا مخترعا من القوم أيحب ان يكون للنوع الذي اخترعه اسم واحد أو أن يكون له اسماء وألقاب في لغات متعددة وتلهج به امم مختلفة لاختار الثاني لان فيه تخليدا لاسم مخترعه فلا يبيد في لغة من اللغات المتغيرة حتى يحيا في اخرى ولأن في كثرة الاسماء زيادة عناية بالمسمى

(الشبهة الرابعة) — يقولون : ان هذه الاصطلاحات في العلوم اصبحت تعد بالالوف في ألسنة العلم والصناعة والتجارة فكم من الزمن يكفي لوضع اسماء عربية لها من جديد مع اننا محتاجون من الآن الى النقل والترجمة

ونقول في درء هذه الشبهة : ان هذه العلوم لا يمكننا نقلها الى لساننا في سنة او سنتين او ثلاث بل لو اردنا اعادة طبع كتبها بلسانها وحروفها لما وسعنا هذا الزمن ولنسلم جدلا بأنه يمكننا طبعها في أقل منه باللغة العربية مع نقل اسماء الاجناس كما هي فكم زمنا يضيع في استظهار هذه الألوف المؤلفة من الكلمات المستنكرة الغريبة وتألفها على السمع والذوق وكم وكم الخ : لا بد من قضاء زمن طويل وبذل جهد عظيم وتذليل صعوبات ومشقات هائلة على كلتا الحالتين ولأن يكون هذا العناء في سبيل تنمية العربية وجعلها لغة علم وصناعة وتجارة بالطرق المشروعة خير لنا من ان نهجرها ونمقتها ونقضي عليها بالفناء قضاء لا نقض فيه ولا ابرام ونكون بهذا العقوق قد انسلخنا منها ويتلو ذلك انسلاخنا من الجنسية العربية لا قدر الله

(الشبهة الخامسة) — يقولون انه من الصعب جدا ترجمة المصطلحات واسماء الآلات الجديدة بألفاظ عربية اذ يلزم على ذلك ترجمة اللفظ الواحد بعدة ألفاظ وفي ذلك من الضعف والثقل على السمع مالا يخفى . ونوردها تفصيل هذه الشبهة من كلام حضرة الكاتب الاديب جرجي افندي زيدان المشهور بالبحث في مثل هذه المسائل . قال حضرته في صفحة (١٣٤) من العدد الرابع من السنة السادسة عشر في التفاضل بين الترجمة والتعريب : —

« فأول مايتبادر الى اذهاننا من الحكم في تفاضل الترجمة والتعريب ان الترجمة أفضلها صيانة للغة من مفاسد العجمة فنقول « بريد » بدل بوسطة و « نظارة » بدل تلسكوب و « سيارة » بدل أوتوموبيل و « التصوير الشمسي » بدل فوتوغراف ولكن ذلك لا يتيسر الاجماع على اختيار الفاظه الا بمجمع علمي لغوي فيه الكفاءة وحسن الاختيار وان يكون له صفة رسمية تسهل اعتماد الكتاب على مايضعه

او يختاره من الالفاظ . على ان هذا المجمع اذا تألف وعرضت عليه الالفاظ المطلوب ترجمتها فلعله يحكم بتعريب قسم كبير منها اي بقائه على لفظه الافرنجي بصيغة عربية اذ يرى بعض المصطلحات الجديدة تسهل ترجمتها بما يسهل لفظه وحفظه والبعض الآخر لا يترجم الا ببضعة الفاظ يثقل استعمالها مع كونها بالاصل الافرنجي لفظة واحدة . فاذا ترجمنا فوتوغراف بقولنا « تصوير الشمس » او « التصوير الشمسي » فماذا نترجم « تليفوتوغراف » ومعناه التصوير الشمسي عن بعد » واذا أردنا تصريفها في الاستعمال قلنا « آلة التصوير الشمسي عن بعد » . . . ولا يخفى مافي ذلك من الثقل على اللسان والفهم . والتعريب يكفينا مؤونة هذه الاثقال فلو أبقينا اللفظة كما هي لقلنا جاء التليفوتوغرافي وفن التليفوتوغراف الخ . ومن فروع التصوير الشمسي ايضا « الفوتوليتوغراف » ويراد به التصوير بالشمس على مطبعة الحجر ومثلها « تليباتوغراف » وهي آلة كهربائية لنقل الصور عن بعد باسلاك كهربائية فكيف نترجم هذه المصطلحات وأمثالها وقس عليه الفوتوتيب أي الطبع بالشمس والفوتوتيب الطبع بالحجر

« واذا ترجمنا « الميكانيك » بالحيل الروحانية أو علم الآلات فماذا نترجم « تليميكانيك » ويراد بها عندهم نقل القوة الميكانيكية من مكان الى آخر . واذا ترجمنا « الفونوغراف » بالحاكي او الناطق فماذا نترجم « التليغرافون » وهو آلة مركبة من التلغراف والتليفون وتعمل عملهما معاً . واذا ترجمنا « تلسكوب » بالنظارة المقربة فكيف نترجم هيدروسكوب وهي التلسكوب الذي يكشف به عما في قاع البحار . واذا ترجمنا « سينماتوغراف » بالصور المتحركة فكيف نترجم « سينمافون » وهو الآلة التي تريك الصور المتحركة وتسمعك اصواتها . وقس عليها امثلة لا تحصى . — لا نقول انها لا تترجم ولكننا نرى ترجمتها شاقة لا تخلو من التعقيد فضلا عن مخالفتها ناموس الاقتصاد العام . لان المعنى الذي يؤدى بكلمة لا يجوز تأديته بكلمتين او أكثر »

ونقول في ازالة هذه الشبهة : ليبون جناب الفاضل عليه الامر فان الترجمة الحرفية ليست هي الطريقة الوحيدة لنقل اللفظ الاعجمي الى العربية فان وراءها

طريقة التسمية من جديد وهذه إما ان يلاحظ فيها كل المعنى الاصلي او بعضه أولا يلاحظ شيء منه ، الا يرى ان العرب عند ما ارادوا ان يسموا علم (الفسيوغرافيا) باسم عربي سموه (الهيئة) مع انهم لو ارادوا ترجمته لقالوا رسم السماء وان علماء الطبقات الارضية سموا نوعا من الصخور لم يهتدوا الى معرفة عناصره الاصلية باسم (الحجل) اذ لا مناسبة بين هذا الاسم وبين المعنى الطبيعي ، وما المانع من تسمية (السيفافون) بالطيف او (الطيف الناطق) مثلا ، ولا يطالبني الآن جنابه بتسمية جميع ما ذكره فان ذلك يحتاج الى بحث وروية ونحن الآن نبحث عن تقرير أصل نتبعه فاذا تروضنا عليه كان له ما يجب ،

(الشبهة السادسة) يقولون انا بقبولنا طريقة التعريب نكون قد وافقنا جميع الامم المشتغلة بالعلم في جميع بقاع الارض و بنبذنا أياها نكون قد خالفناهم والفرد اذا خرج من الجماعة اعتبر عمله شذوذا وانقطاعا عن العالم

ونقول في ازالة هذه الشبهة : ليس كل خلاف يعد شذوذا أو يلحق بصاحبه ضرراً ، على ان لنا في ذلك أسوة بمملكة المانيا العظمى فانها خالفت هذا المبدأ ولم تستعمل مصطلحات اللغات الاخرى في لغتها وهي صاحبة المقام الأول في قارة أوربا علما وصناعة وسياسة ، وبعد فماذا نستفيد من هذا الوفاق ما دمنا نكتب بغير الحروف اللاتينية وننطق الحروف بمخارج تباين مخارجها في اللغات الاوربية

(الشبهة السابعة) ـ يقولون : ان لغتنا جامدة وكل معنى من معانيها لا يقوم الا بمفرد خاص فاما اللغات الاجنبية ففيها كثير من الزوائد والانتهاءات الصغيرة تؤدي عمل الالفاظ الكبيرة خصوصاً في النفي والاثبات والافراد والجمع يعرف ذلك بالاطلاع على مصطلحات الكيمياء وكيف فرقوا بين كلوريك وكلورات وكلورور ، وان لها لاتينياً ويونانياً قديمين يؤخذ منهما اسماء المصطلحات الجديدة بحيث لا يحصل ادنى اشتراك في اللفظ

ونقول في ازالة هذه الشبهة : ان عددا لا يمكن حصره من ألفاظ اللغة العربية كل منها له معنى لو اريد التعبير عنه بالتفصيل لما كفت الجمل بله الالفاظ ، وان

النطق بعلامات التثنية والجمع في اللغة العربية له أعظم أثر في التمييز، وان زوائد جواهر الكيمياء يمكن ان يستبدل بها في العربية كلمات قليلة الحروف أو حروفا مثل (ذي ـ أو ذات ـ او ياء النسب ـ أو النسب بالصيغة والاشتقاق) وغير ذلك مما لا يتعذر على جماعة تعنى به، وان لنا أيضاً لاتينيا قديما لا يحصل به الاشتراك هو القريب القليل الاستعمال متى كان قليل الحروف خفيفا على السمع

(الشبهة الثامنة) ـ يقولون: ان هذه الاسماء الجديدة قد شاعت وذاعت بين العامة وهم السواد الاعظم وكثير من الخاصة ويشبه المستحيل ارجاعهم عنها الى الفاظ عربية فصيحة

ونقول في دفع هذه الشبهة: أما العامة فلهم لغة خاصة بهم ونحن نتكلم في لغة الكتابة والقراءة فاذا ما تعلم العامة القراءة والكتابة تعلموا الالفاظ الفصيحة، وبعد فقد كان يدعي على هذا المبدإ ان نجاريهم في جميع الالفاظ العامية أو بالأولى نجعل لغة [illegible] والكتابة هي العامية [illegible] من عناء تعلم الفصيح والصدور تضيق بالرد على [illegible] الحال عند العقلاء ولا يبالون بقيمة القول وأما الخاصة فلا أسهل من الاخذ بهم في طريق الفصيح وانا لنرى الكاتب في عصرنا يأنف من كتابة (بسكليت) ويكتب بدلها دراجة

(الشبهة التاسعة) يقولون ان اللغة كائن حي وهي في ارتقاء مستمر وتجدد ودثور وان ناموس الارتقاء يستدعي بالطبع بقاء المناسب وكل ماحدث في اللغة من الدخيل والمولد وما سيحدث فهو ضروري بطبيعة الحال وعبثا يحاول الانسان مقاومة الطبيعة الا يرى ان العرب كانت لها اسماء لمسميات تعرفها فلما امعنت في الامتزاج بالفرس أخذت أسماء هذه المسميات عنهم وهجرت اسماءها الاصلية. نظير ذلك الباذنجان وهو بلغتهم (الانب) والرصاص (الصرفان) والهاون (المنحاز)

ونقول في دفع هذه الشبهة: ان هذا الاصل الداروني يتفيهق به كثير من متفلسفة زماننا و يدخلونه في كل شيء وما مني الناس بشر اشد من اختلافهم في فهم هذا الاصل ولئن صح على زعمهم ان اللغة كائن حي كبقية الاحياء فما لاشك فيه ان حياتها بحياة اهلها ونحن نحب ان تكون لغتنا حية. اذن لحياتها وموتها وعزها

وذهلنا بأيدينا فلو شئنا ان نتدرج في ناموس الارتقاء ونتبع طريقة التجدد والتطور فلنحي كثيرا من الفاظها الجميلة التي باتت في بطون المعاجم تشكي العطلة وسوء الحال وكساد السوق ، ولنفت كثيرا من الالفاظ الدخيلة والمولدة التي صارت في وجهها كبثور الجدري الاسود فشوهت محاسنها واوهنت قواها

***

اذا نفينا جميع هذه الشبه وجب علينا ان نشرح طريقتنا في ترجمة الاصطلاحات والآلات الجديدة فنقول :

ان هذه الكلمات لا تخلو ان تكون اعلاما وأسماء اجناس . فأما الاعلام فلا مانع من نقلها أعجمية بعد صقلها بالنطق العربي واما اسماء الاجناس فاما ان تكون معروفة قديما عند العرب ولها في المعجم أسماء تطلق عليها أو على مايشبهها وهذه يبحث عنها في اللغة ويعاد استعمالها في معانيها ككلمة قنال (خليج او قناة) وكلة تيانيتو (تركة) واما ان تكون غير معلومة لهم وهذه لنا في نقلها ثلاث طرق :

(١) طريقة ترجمة اللفظ بمرادفه كترجمة سينما توجراف بالصور المتحركة وترجمة كرافات برباط الرقبة

(٢) وطريقة الاشتقاق من الفعل الذي يعبر به عن عمل الكلمة اوصفتها ان كانت من ذوات العمل والصفة ، وهذه تسمية جديدة لا ترجمة مثل تسمية البسكليت بالدراجة والاتوموبيل بالسيارة ونحوها من مثل الذراعة والبارجة والباخرة والنسافة والقطار الخ فان هذه الالفاظ قد وضعت لمسميات افرنجية ولا يوجد من الفريق المخالف !! من ينكر سهولتها وشهرتها وسبقها غيرها في حلبة الكتابة

(٣) طريقة التجوز . وهي طريق واسعة النواحي كثيرة الفجوج وعليها اعتماد الاوروبيين في نقلهم المصطلحات الحديثة من اللاتينية وما أغزر علاقات المجاز في لغتنا فعلاقة المشابهة في حالة من الاحوال تكفينا مؤونة التكلف والتعسف في انتقاء الالفاظ . هذا الى بقية علاقات المجاز المرسل كالسببية

والمسببية والحالية والمحلية واللازمية والملزومية واعتبار ما كان وما يؤول وغيرها مما يكفي فيه ان يكون بين العربي والأعجمي أدنى ملابسة ومتى شاع اللفظ الجديد واشتهر فلا يوجد من يبحث عن أصل مأخذه كالدارعة والبارجة والقطار والمتنخر، والمجاز اذا اشتهر صار حقيقة عرفية

وهذه الطرق الثلاث كلها قياسية في الاستعمال لا ينكرها أرباب العربية وكتبهم في البيان والاصول وعلم الوضع حافلة بشرح حقائقها وتفصيل مباحثها ولا يتحكك بذلك الا مكابر وعلى هذه الطرق جرت العرب عند وضعها اصطلاحات العلوم الشرعية والادبية والعلمية وكلنا نعرف معنى الفاعل والمفعول والمبتدا والخبر والحال والتمييز والظرف والاستثناء والعدل عند النحويين، ونعرف أصل معانيها اللغوية . وترى العرب عند ما ترجموا المنطق والحساب والهندسة والفلك لم يستعملوا في اصطلاحات هذه العلوم الا الالفاظ العربية وربما تطرف بعضهم فأتي ببعض الفاظ على أصلها مثل الطلبعة والمغسطة ولكن ذلك لم يمنعه من استعمال مرادف لها عربي مثل الحكمة والمغالطة

هذا وان ماسقناه من أدلة الرد على الفريق الاول يكفي في اثبات فضل طريقتنا في الترجمة ولا يحتاج في نشرها والعمل بها الا تأليف مجمع علمي يتولى أمر البحث والوضع وهو ما نرجوه في هذا النادي اذا لقي من حضرات الافاضل أرباب الصحف والمؤلفين والكتاب والشعراء ما ننتظره منهم من المؤازرة في البحث والوضع والتنويه بنتائج علمه واذاعته للجمهور ايروا رأيهم فيه وليتزودوا منه اه

***

(المنار): هذا خطاب الشيخ احمد الاسكندري الذي أعده للاجتماع الاول من اجتماعات نادي دار العلوم، ولكنه لم يتمكن من القائه فيه . وقد رأى من المنكرين عليه منع التعريب ما حمله على كتابة خطاب آخر يرد فيه عليهم وعلى خطاب الشيخ محمد الخضري الذي نشرناه في الجزء الماضي . وقد القى هذا الخطاب الثاني في الاجتماع الثاني وهذا نصه

﴿ الخطاب الثاني للشيخ احمد الاسكندري ﴾

﴿ في نادي دار العلوم ﴾

أيها السادة الافاضل

اني أقف الآن موقفي منذ أربع عشرة ليلة في سبيل اداء واجب من أقدس الواجبات عليّ وهو الذود عن حياض العربية وكلاءتها من تسرب العجمة اليها وكان بودي أن أناجز مناظري الفاضل في الموطن الاول ولكن حال دون ذلك ضيق الوقت وفيما حضر استدراك لما فات

ايها السادة : كنت عنيت في الاجتماع الماضي أن أدحض أولا شبه الفريق المخالف لي في الرأي ثم أشرح بعد ذلك طريقتي في ترجمة الاصطلاحات العلمية واسماء المخترعات الجديدة ولكن الوقت ضاق عن تمام ادحاض الشبه وبيان الطريقة فرأيت الا على شبهة واحدة منها الا كتبتها وشرحته في رسالتي التي طبعت ووزعت على حضراتكم وعلى كثير من أهل الفكر وابتدأت الجرائد تتوالى نشرها عدة ايام . لا أريد الليلة معاودة البحث في هذه الشبه إذ لا تخلو اعادة القول فيها من تكرار وأجمل كلامي الليلة قاصرا على شرح طريقتي وعلى المناقشة مع مناظري الفاضل في خطبته التي أوضح فيها طريقته ورد بها على مخالفيه فأقول

بلغني ان نفرا ممن يأخذون بالظنة ويثقون بوجدانهم لم يتريثوا في الحكم على طريقتنا فأرجفوا بأنها تقول ببقاء القديم على قدمه وانها تحارب كل جديد وانها تمنع الاجتهاد في اللغة كما منع من قبل الاجتهاد في الدين وانها تفرق بين اللغة وبين العلم والصناعة وانها تقاوم الرقي الطبيعي للغات وغير ذلك مما لم يكن له موضع الا اخيلتهم فقط

يا حضرات الافاضل اني لم آت لحفظ لغتنا بأمر غريب وما جئت شيئا نكرا فاني لم اسلك الا الطريقة التي سلكها أسلافنا عندما أرادوا أن يدونوا علومهم ويترجموا كتب غيرهم من الامم . كانوا رحم الله ايامهم يضعون

لاصطلاحات علومهم أسماء منقولة من العربية المحضة بنوع من التساهل والتجوز في المعنيين القديم والجديد ولم ينكر أحد عليهم ذلك حتى أهل زماننا فوضعوا مصطلحات النحو والصرف والمعاني والبيان والبديع والعروض والقافية ومصطلح الحديث والتفسير وأصول الفقه وفروعه والتوحيد كما وضعوا مصطلحات العلوم التي ترجموها مثل المنطق والحكمة الالهية والطبيعة والحساب والهندسة والفلك وغير ذلك من العلوم التي لو أردت احصاء مصطلحاتها لعددت عشرات الالوف من الكلمات كلها عربية لها معان اصطلاحية ومعان لغوية ومثل ذلك آلات الصناعة والعلوم وكتاب المخصص وفقه اللغة وكتاب العين للخليل وجمهرة ابن دريد ونوادر ابن الاعرابي ومفردات ابن البيطار والمادة الطبية للرشيدي وقاموس تجاري بك كلها بحور زاخرة باسماء النبات والحيوان والآلات

ولم يكن العرب يبتدعون ذلك من عند أنفسهم بل انهم اهتدوا فيه بهدى القرآن الكريم فان بعض الفاظ القرآن الدينية لم تكن العرب تعرفها قبل الاسلام بهذه المعاني فقد جاء الاسلام وما تعرف العرب من معنى الصلاة الا الدعاء ومن معنى التيمم الا القصد ومن معنى الزكاة الا الطهارة ومن الفسق الا قولهم فسقت الرطبة ومثل ذلك كثير في القرآن فاستعملها في هذه المعاني الجديدة الدينية ولم تنكر العرب هذا الاستعمال. ولئن جاز ان ندخل مثل مباحثنا من الدين في باب الحظر والاباحة لقد جاز لنا ان نقول ان هذا اقرار من الله تعالى على صحة التوسع في استعمال الالفاظ اذلو اتبعنا هذه الطريقة في تسمية الآلات والاصطلاحات الجديدة لم نكن تابعين الا السنة التي سنها الله تعالى في تسمية كل جديد ولسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنة الائمة وواضعي العلوم ومترجميها من سلف الامة

واذا فصلنا هذه الطريقة أمكننا أن نقررها فيما يأتي

(١) لا يجوز النقل من غير لغة العرب الا الاعلام (٢) لا نأخذ الكلمة للشيء الجديد الا من غريب اللغة او القليل الاستعمال مما هو عندنا بمنزلة اللاتيني عندهم لتقليل الاشتراك بقدر الامكان (٣) ان كيفية الترجمة لا تخرج عن الطريقة الآتية :

(ثم قال بعد ان لخص طريقته التي ذكرها في الخطاب الاول)

وقد يعترض بعض المتحذلقين بقوله لاغنى لنا عن أن نترجم بعض الآلات بكلمتين فأ كثر مع انها كلمة واحدة في الافرنجية . فنقول في الرد عليه أما الكلمتان فلا بأس باستعمالها اذا كانتا لصفة وموصوف ومضاف ومضاف اليه لانهما كالشيء الواحد مثل (القباب الطيارة) و (المحراث البخاري) و (سكة الحديد) ومع هذا فان اللغة الافرنجية نفسها لم تسلم من ذلك فالباخرة عندنا كلمة واحدة وهم عندهم ثلاث كلمات (باتو أفا بور) ومثل ذلك كثير اما مازاد على ثلاث فاننا لا نلتجيء اليه بل نسمي الكلمة التي لا تترجم تسمية جديدة كما نسمي السينماتوغراف ومعناها الصور المتحركة الناطقة « بالخيال الناطق) ....

واذا قيل إن ذلك يستدعي عملا كثيراً وأزمانا طويلة ومن هم الذين يعملون معك لتحقيق هذه الامنية : أقول أني لا أريد أن أنقض هيكلا وأبنيه في ثلاثة أيام وكل عمل عظيم يستلزم صعوبة وبيننا الآن كثير من رجال العمل لا يعوزهم الا مساعدات قليلة من رجال الصحف وسراة الامة

اذا قيل : انا نخشى أن لا نجد في اللغة ألفاظا موافقة لبعض المسميات الافرنجية　أقول : هذا مستحيل مع ما قدمنا من الطرق الثلاث واذا علمنا ان أبا الاسود سمى علم النحو نحوا لان عليا رضي الله عنه لقنه بعض قواعده وقال له انح هذا النحو وان علماء طبقات الارض من الافرنج سموا أحد الصخور باسم (الخجل) لانهم لم يعرفوا له تركيبا تحققنا من أننا نجد حتما كل اسم والاصطلاح وحده وضع آخر

واذ سمعتم ياحضرات الافاضل طريقتي وجب علي ان أشرح لكم الادلة والبراهين التي قامت عندي على صحتها

الدليل الاول - ان التعريب ليس من حقوقنا لاننا لم نر أحدا من أئمة اللغة انكر ان التعريب حق للعرب وحدهم وان زمنه ينتهي على أوسط تقدير الى أوائل القرن الثالث وفي هذا المقام ندفع شبهة قد وهم فيها بعضهم عند تكلمي في هذا

المقام في الاجتماع الماضي ، وهي قوله : تقول اننا لسنا عربا في مقام ثم ترجع وتقول في مقام آخر اننا نحافظ بمنعنا دخول الكلمات الاعجمية في لغتنا على سلامة جنسيتنا العربية . فنقول له : اننا نعني بالعرب العرب الذين يعتد بعربيتهم في اللسان لا في النسب والجنس فمثل عنترة وبلال موءذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصهيب صاحبه والحسن البصري وابن سيرين وعطاء بن أبي رباح ومجاهد وسعيد بن جبير ونصيب وعبد بني الحسحاس وابن المقفع كلهم عرب في ألسنتهم لا في جنسهم وانسابهم فنهم الهجين والزنجي والحبشي والفارسي والرومي ، ومثل عرب جاوه ومالطه وعرب آسيا يا وعرب المغرب والشام ومصر ليسوا عربا في أنسابهم وان كانوا عربا في انسابهم وكانا لا ينكر أن فينا الهاشمي الذي لا يحسن قراءة الفاتحة ومثله كثير في بلاد الترك وفارس والهند والصين واذا سمانا التاريخ وعلم تقويم البلدان عربا فانما يعني علماؤها العربية الجنسية واذا قالها عند ذكر بلادنا ان لغتها العربية فانما يعنون ان لغة الكتابة والقراءة والعلم والتعلم هي العربية أو أنهم يتساهلون في اطلاق العربية على العامية لان أكثر الفاظها محرفة عن العربية وان أساليبها لم تزل بعد عليها مسحة الاساليب العربية ولذلك لم يحرمنا أئمة اللغة حق الارتفاق بهذه الصلة اللسانية فسمونا مولدين أي اننا نصف اعراب في اللسان ان لم نكن نصف اعراب في الجنس اذن فمعنى العرب في كلامنا ما يقابل المولدين لا ما يقابل الرومي والصقلي

الدليل الثاني — المحافظة على سلامة اللغة من فشو الدخيل فيها مع التوسع في استعمال الفاظها فانا وجدنا العرب عند وضعهم العلوم وترجمتهم لكتب غيرهم واقتباسهم صناعتهم لم يرجعوا في تسمية المصطلحات وأسماء الآلات الا الى التوسع في استعمال الفاظ اللغة اقتداء بالقرآن في تسمية شعائر الدين بأسماء استعملت قبل القرآن فيما يشبهها كما بينا ذلك آنفا

الدليل الثالث — المحافظة على صحة فهم القرآن لاننا اذا أبحنا لنا ولاولادنا واحفادنا ادخال الالوف المؤلفة من الكلمات الاعجمية وأبحنا لهم كما يرى مناظري الفاضل اشتقاق جميع المشتقات منها كنا قد صبغنا اللغة بصبغة إفرنجية

لا يتميز منها العربي من الدخيل ولاختلط الامر وآل الفساد في حالة مدارسة القرآن وكتب السنة

الدليل الرابع — المحافظة على البقية الباقية عندنا من الجنسية العربية فان هذه الجنسية المميزة لنا عن سوانا والتي تصلنا بأعظم أمة فاتحة ذات دين وشريعة ومدنية عظيمة لم تدم لنا الا بنسبة محافظتنا على القليل من اللسان العربي فان نحن حرصنا بهذا القليل ما نجتلبه من الاجنبي الذي سيستمر آخذاً في الزيادة وذلك في النقصان نسخ الجديد القديم ويتلو ذلك نسخ جنسنا وكفى بذلك ذلاً وفناء

الدليل الخامس — توسيع نطاق اللغة العربية وجعلها لغة علم وصناعة اذ بنقلنا أسماء عربية قديمة لمعان اصطلاحية نكون قد زدنا في مدلولات اللغة والفاظها شيئاً كثيراً من غير أن نمحقها بهذا المصل الغريب المجهول الأثر الذي ان لم يعجل منيتها فلا أقل من ان يخلف ذوباً في جسمها مع امكان مداواتها بغيره

الدليل السادس — عدم الاستفادة من التعريب لاننا على فرض تسليمنا جواز التعريب فما الفائدة [illegible] لسان العلم وتقربنا من أمم أوربا كما [illegible] حروف كتابتنا عربية وحروف ممالك أوربا لاتينية وهم يكتبون حروفهم من الشمال الى اليمين ونحن نكتب حروفنا من اليمين الى الشمال (٢) ان مخارج حروفهم غير مخارج حروفنا (٣) ان قاعدة التعريب تقتضي أن نكسر الكلمة ونهشمها حتى تصير الى صورة عربية فان كانت من الكلمات التي تزيد حروفها عن سبع وجب أن نصغرها حتى تصل الى سبع ونغير بعض حروفها بأخرى ونضع في آخرها جيماً اذا كان آخرها لا يستقيم كما قالوا في (تازا) طازج ثم نجمعها جموعاً ليس في آخرها (s) ولا (x) أعني أننا نصهرها في بودقة ونضربها بسكة أخرى فبعد أن تكون مثلنا تصير قطعة مخمسة لا يتعامل بها في اوربا وان كان حب التقرب من أوربا يضطرنا الى استعمال كلماتهم في لغتنا لقد حق علينا أن نستعمل كلمات من هم أحق منهم بالقربى وهم العامة في مصر والشام والمغرب والعراق مع اتفاقنا جميعاً على نبذها وتعيير من يدرجها في كتابته مع ان فيها من الالفاظ الدقيقة المعنى

ماليس له نظير في الفصيح مثل كلمة (يادوب) فما لنا نكون حربا على أمتنا وسلما لغيرنا

هذه هي طريقتنا وتلك أدلتنا وقد أزلت في مقامي هذا وفي الاجتماع الماضي جميع الشبه التي يمكن أن تخطر على قلب من يرى غير رأينا . وأما خطبة حضرة مناظري فانها من حسن الحظ لم تكلفنا كبير مؤونة في الرد عليها فاني بعد أن سمعتها من حضرته وقرأتها مراراً ومحصتها تمحيصاً لم نجد على أ كثر من ثلاثة احتجاجات

(الاحتجاج الاول) قال ان حجتنا في منعنا التعريب هو تشبيهنا اللغة بالدين وهو احتجاج تخيله من نفسه ما قلته أنا وما قاله أحد ممن يرى رأيي ، وعلى هذا الخيال أخذ يفرق بين الدين واللغة وان هذا وضع الله وهذه من وضع الافراد الخ

(الاحتجاج الثاني) قال « ان طريقة التوسع في الاستعمال بالتجوز تجر الى تغيير في وضع الكلمة الاصلي وهذا التغيير وضع من جديد» وأنكر ذلك انكاراً شديداً فقال «انا اذا أخذنا الكلمة واستعملناها في معنى جديد (مع قرينة) لم نكن قد جرينا على اللغة العربية لاننا خالفنا أوضاعهم وقواعدهم — الى أن قال في طريقتنا — انا نجري على خطة لا أساس لها مع وصف الخروج من أوضاع المتقدمين» ونقول انا لا نتكلف الرد على هذا الاحتجاج بأنفسنا بل نكل ذلك لحضرته وكل من قرأ كلام العرب ويعرف ماهي أوضاع المتقدمين فالعرب أنفسهم استعملوا طريق التوسع في الوضع والمجاز وكلكم يعرف ان المتقدمين وضعوا لهذه المسألة وحدها علمين علم الوضع وعلم البيان وما ذاك الا أنها أصل من أصول اللغة وكل الاصطلاحات الدينية والعلمية والصناعية واسماء الآلات من هذا القبيل وهو يدرس كل يوم «معنى الكلمة لغة واصطلاحا» وهذه الطريقة التي ينكرها ويقول انها لا أساس لها وانها تخالف أوضاع العرب الخ قد نقض رأيه فيها في موضع آخر من الخطبة فانه قسم طرق الوضع الى ثلاث فقال والمعقول في اختيار اللفظ للمعنى ثلاث طرق (١) الوضع من جديد (٢) التوسع في الاستعمال وهو المراد بالتجوز بأن يكون اللفظ قد وضع بازاء مسمى ولمناسبة بين المسمى القديم والجديد يستعمل

ذلك اللفظ في المعنى الجديد فترون انه لم يكتف بأن جعل طريقتنا معقولة حتى جعلها احدى الطرق الثلاث التي هي طريقة الوضع من جديد وهذه منها بتة ونحن نمنعها معه . والثالثة طريقة التعريب وهو يجيزها وأنا أمنعها ففيها خلاف فما بقيت الا طريقتي وهي باقراره معقولة أساسية

(الاحتجاج الثالث) وقد كرره في عدة مواضع — ان طريقتنا في التجوز تجر الى الاشتراك واشتراك الالفاظ في المعاني مما يخل بأصل المقصود منها والتجوز لا بد فيه من اقامة القرائن على إرادة ما استعمل اللفظ فيه

وقال عن نفسه وعمن يرى رأيه « وهذا وذلك كثيرا ما وقفنا حيارى في فهم المراد من بعض الالفاظ فهل نريد بعد ذلك أن نضيف الى آلامنا آلاما »

فنقول جنبنا الله الحيرة وباعدنا من هذه الآلام . فيم الحيرة وفيم التألم؟ لا توجد لغة في الارض الا والمشترك فيها قسم مهم من أقسام اللفظ . وبعد فأي لفظ بل جملة من الكلام [illegible] القرائن في الحقيقة لا تتناهى وإن كان المشترك [illegible] في الآلام لقد ضل واضعو العلوم ضلالا مبينا وجنوا على الناس جناية لا تغتفر بايقاعهم في الآلام والحيرة ولكنا والحمد لله لم نر مهندسا اشتبهت عليه زاوية المثلث بزاوية الكاشي ومنشور الاجسام بمنشور النظارة كما لم نر طبيبا اشتبه عليه مرض الاستسقاء بصلاة الاستسقاء

هذه هي كل ما في خطبة مناظري الفاضل في احتجاجه على طريقتنا وباقي ما فيها مقدمة ليست من موضوع البحث وحكاية الطريقة التي كانت العرب تتبعها في مثل الباء والفاء الفارسيتين وهي ليست من موضوع الخلاف . ثم نتيجة قررفيها أنه لا يسمح بوضع اسم عربي لمسمى حديث الا اذا دل عليه بنفسه (يعني لا بقرينة) وبذلك قد حرم طريقة التجوز بتاتا

هذا ما رأيته في شرح طريقتي ورد الشبه التي ترد عليها والله اسأل أن يعصمنا من الزلل ويجنبنا الخطأ ويمدنا بروح منه والسلام عليكم ورحمة الله

احمد الاسكندري

﴿ رأي المنار في الخطبتين والتعريب ﴾

ان ماذهب اليه صاحب هذا الخطاب في مسألة التعريب من كونه خاصا بمن يحتج بعربيتهم هو المقرر عند علماء هذا الشأن وقد توسع هو في الذين يعتد بعربيتهم · ولكن ماقرروه في ذلك لم يمنع العلماء والادباء من اقتباس الكلم الكثير من الاعاجم عند ماساقتهم الحاجة الى ذلك · ثم ان علماء اللغة سموا مااستعمله من لا يعتد بعربيتهم لضعف الملكة فيهم مولدا لا معربا كما سموهم المولدين فاذا كان الشيخ احمد الاسكندري يبيح لاهل هذا العصر ذلك ويمنع تسمية مايستعملونه من كلام الاعاجم بالمعرب ويخصه بلفظ المولد فالخلاف يكون لفظيا لان غرض من يقول بالتعريب هو اباحة استعمال الالفاظ الاعجمية في العربية عند الحاجة مع التصرف بها كما تصرف الاولون ولا يبالون اسميت معربة أم سميت باسم آخر وقد علمت أن منع هذا الاستعمال مطلقاً هو المنع الذي لاسلف له فيه · اما القول بالاجتناب او الاكثار منها والوقوف فيها عند حد الضرورة فلا أرى أن أحدا غيره يخالف فيه

ولكم هممت بأن أنظر فيما جمعوه من الكلم المعرب والمولد وأرجعه الى قواعد عامة اذا أمكن ولم أجد سعة في وقتي لذلك . ولعلنا لو اطلعنا على كتاب ابي منصور الجواليقي لوجدنا فيه غناء يكفينا في هذا المطلب كل عناء

أنه لا خلاف بيننا وبين الاسكندري الا في التعريب فنحن نجيزه عند الحاجة اليه وهو يمنعه مطلقا ويدعي انه يجري في ذلك على سنن سلفنا في ترجمة علوم اليونان ولا نسلم له ذلك فانهم قد عربوا كثيراً من الكلم · ومن قال ان المعرّب خاص بما نطقت به العرب في جاهليتها ومن يعتد بعربيتهم في الاسلام فذلك اصطلاح منه على تسميته لاحكم بمنعه والا فقد قال الخفاجي في مقدمته شفاء الغليل « فما عربه المتأخرون يعد مولدا وكثيراً ماوقع مثله في كتب الحكمة والطب وصاحب القاموس يتبعهم من غير تنبيه » فعلم من هذا ان التعريب واقع من

المتقدمين والمتأخرين ولكن علماء اللغة سموا ماسمع عن العرب قبل اللثات المعجمة بألسنتها معربا وسموا ماسمع ممن بعدهم مولدا وقد احسنوا بذلك كل الاحسان اذ هو من مباحث تاريخ اللغة الذي يدل على معرفة تاريخ أهلها . وما اقترحه الحضري من تمييز ما عرب في هذا العصر عن غيره يجري على هذه الطريقة وأزيد عليه استحسان إطلاق اسم خاص عليه (كالمحدَث)

وجملة القول ان كلا من الحضري والاسكندري قد أحسن فيما كتب واصاب على مانرى فيما أثبت وأخطأ فيما نفي ولا ننسى فضل ما أطال به الثاني فأفاد . والذي نراه هو أن يكون المجمع اللغوي الذي يراد تأليفه الحرية التامة في اتباع سلفنا في بداوتهم وحضارتهم والزيادة عليهم اذا أمكن فانه قد يحتاج في نقل الاصطلاحات العلمية الى مجاراة الاوربيين في جعل اسماء الآلات الكثيرة التي من نوع واحد بحيث يعرف من كل منها نوعها الكلي الذي تندرج تحته ونرى ان ذلك لايتم الا بالتعريب او الارتجال او النحت او غير ذلك

وقد كبر الاسكندري الخوف على اللغة من كثرة الاصطلاحات المعربة حتى جعله مفزعا جدا والامر أهون فيه مما تصوره وصوره في خطابه على ان الاصطلاحات المترجمة لو كثرت في الانشاء والخطابة لأ فسدت أسلوب اللغة . وهذا ابن خلدون قد بين ان مزاولي الفقه وفنون العربية لاتستحكم فيهم ملكة البيان ولايكون منهم البلغاء فللفنون أسلوب أوأساليب خاصة بها لاتجني على الاسلوب الفصيح اذا هو أخذ على وجهه في اكتساب الملكة

للكلام ضروب كثيرة منفصل بعضها عن بعض لاحاجة الى ادخال اصطلاحات كل واحد منها في غيره . لكل فن من الفنون العربية والشرعية والعقلية والرياضية والطبيعية والصناعية والمالية والعسكرية الفاظ خاصة بها لايدخل بعضها في بعض الا قليلا . وأقل من ذلك مايحتاج اليه في الكتابة الادبية والخطابة والشعر وهي مابه يكون التفاضل في البلاغة وسحر البيان . فاذا كان أساس العربية في هذا النوع من الكلام هو القرآن الحكيم والاحاديث الشريفة وآثار الصحابة والتابعين — وهي أساس الدين المتين — ثم اشعار الجاهلية وصدر

الاسلام فماذا يضر اللغة بعد ذلك اذا كثرت اصطلاحات الفنون المعربة او قلت
واذا نحن قصرنا في حفظ هذا الاساس المتين فماذا يفيدنا جعل مصطلحات الفنون من المواد العربية ونحن نستعملها في غير ما استعملتها به العرب ؟

انا بهذه الكلمات نقضنا أدلة منع التعريب وهدمنا هيكلها المسدس فاما الدليل الاول وهو اتفاق أئمة اللغة على أن التعريب ليس من حقوقنا فقد بينا انه اتفاق على التسمية فلنسم ما نعربه الآن مولدا كما سموا ما عربه من قبلنا من العلماء المولدين او محدثا كما أختار

واما الثاني وهو المحافظة على سلامة اللغة والاقتداء بالعرب في وضع العلوم وترجمتها فقد بينا ان التعريب لا يعرض سلامتها للخطر وانا لا نخرج به عن اتباع سلفنا الذين ترجموا علوم اليونان . وانما يرد علينا هذا اذا التزمنا طريقة الحضري وهي الاكتفاء بالتعريب عن الترجمة والوضع الجديد وما نحن ملتزميها فاننا لم نقبل من طريقته الا جواز التعريب وقيدناه بقيد الحاجة اليه

واما الثالث وهو المحافظة على فهم القرآن وكتب السنة فقد علم مما قدمناه انه مهما اتسعت دائرة الفنون عندنا وكنا نعلم القرآن والحديث ونجعلهما أساس بلاغتنا وينبوع هدايتنا فان ضعف أسلوب تلك الفنون لا يصدنا عن اكتساب ملكة البلاغة ولا فهم القرآن وكتب السنة والاهتداء بها . وأزيد على ذلك فأقول . إن العناية بالقرآن وكتب السنة إنما تقوى في المسلمين بقوة الدين وتضعف بضعفه فما دمنا مسلمين نتعبد بالقرآن ونهتدي به وبكتب السنة فاننا لا نزداد بزيادة معارفنا الا قوة في ديننا وانما يخشى أن يصدنا عن القرآن والسنة بقاؤنا على التقليد الاعمى مع مهاجمة المدنية الغربية لنا بإباحة المحظورات وتقطيع الروابط الملية بشبهة الجنسية والوطنية ، وتلون السياسة ، لا بأسماء المخترعات وتجدد الاصطلاحات العلمية التي يمكن لنا استعمالها مع المحافظة على كل ما عندنا وان عربنا بعض الفاظها فان التعريب لا يضعف اللغة وانما يمدها ويغذيها

واما الرابع وهو المحافظة على الجنسية العربية فقد علم من كلامنا ان التعريب وهو جعل بعض الكلم العجمي عربيا لا يضعف الجنسية بل يقويها ويوضحه

ما ذكرناه آنفاً في الكلام على الدليل الثالث . ونزيد عليه بأنه يجب علينا ان نجهد في تعميم التعليم بالعربية بقدر الاستطاعة وان يكون حظنا من اللغات الافرنجية نقل العلوم ونشرها بألسنتا وذلك لا يتم لنا الا بتسهيل طرق النقل ومنه التعريب فاباحته تأتي بنقيض ما يخافه الاسكندري بالشرط الذي اشترطناه وهو ان يكون بقدر الحاجة حتى لا يعسر على نقلة العلوم نقلها فتضطر الى تلقيها بلغات واضعيها

وأما الخامس وهو توسيع نطاق اللغة فأمره أظهر فالتوسعة انما تكون في تسهيل نقل العلوم لا في ضده

وأما السادس وهو عدم الاستفادة من التعريب فهو ممنوع على اننا نفوض الأمر فيه الى المجمع اللغوي مع جعله مباحاً



ترجمة الصناع وغيرهم من العامة

هذا وانا نرى العامة تسارع الى وضع اسماء جديدة لكل ما يصل اليها من أجناس المخترعات وقد وقفنا على أكثر أسماء أدوات آلات الطباعة وما يتعلق بها فرأيناها عربية قد تجوّز بها الصناع بالتشبيه بأعضاء الانسان وغيرها

ومنها الاسماء الآتية : الذراع والفخذ والأصابع والاسنان ويشتقون من الاسنان فيقولون مسنن . وفي آلة الخياطة هنة صغيرة يسمونها السنة ويعنون بها السن الصغيرة . ومنها ما يسمونه بالوجه وهو ما يقابل وجه العامل الذي يقف امامها . ومن التشبيه بغير أعضاء الانسان الترس والطنبور والسكينة والدائرة والقصعة والحوض (لموضع الحبر من آلة الطبع) وتراهم قد عربوا بعض الاسماء تعريباً إذ لم يهتدوا بسليقتهم الى اسم مجازي لها وهو أقلها ومنه الشلندر والياي والصامولة

ولو عرضت هذه الأدوات والهنات على الخاصة منا لحاروا في تسميتها وكانت عندهم موضع الخلاف والنزاع والقيل والقال واتسع فيها مجال المناظرات . وما

سبب ذلك الا ان هؤلاء الخواص قد ضعفت فيهم ملكة اللغة العامية بما زاولوه من فنون الاعراب والبيان ولم يصلوا الى إحكام ملكة اللغة الفصحى فلكنهم مذبذبة بين صنعة الفنون وملكة العامية

فعامة أهل البلاد التي تسمى عربية كالعراق وسوريا ومصر والمغرب يجوز أن يسموا الآن عرباً بالجنس واللغة اذ ليس لهم لغة الا العربية ولا يمنع ذلك ضعف اللغة في ألسنتهم بما فتكت بها العجمة فان ضعف الشيء لا يخرجه عن ماهيته فالانسان الضعيف انسان والدولة الضعيفة دولة كذلك اللغة الضعيفة لغة. ومداواة الضعف مما يدخل في مقدور الناس اذا كان كنه المرض معروفاً ودواؤه معروفاً

وإنني أرى ان جميع المفردات التي يتألف منها كلام أهل سوريا ومصر عربية الأصل الا مايعرف له أصل أعجمي من التركية أو الفارسية أو اللغات الافرنجية وهو الأقل وكذلك أساليب الكلام عندهم لا تزال كأساليب العرب في الغالب . ولعل ألسنة أهل العراق والحجاز أقرب من ألسنة أهل مصر والشام، كما ان ألسنة أهل هذين القطرين أقرب الى العربية الفصحى ، من ألسنة أهل المغرب الأدنى والأقصى .

انني اعرف من نفسي الضعف في اللغة العامية حتى ان الكلمات التي يشكل عليّ فهمها من كلام العوام تكاد تكون اكثر من الكلمات التي يشكل عليّ فهمها في كتب الادب والتاريخ ولكنني قلما اشكلت عليّ كلمة عامية فراجعت لها معاجم اللغة الا وجدت فيها اصلها ومن الكلم الصحيح مايشكل عليك معناه بعد المراجعة في المعاجم وهو لااشكال فيه عند العامة . اذكر انني راجعت مرة جميع ماعندي من المعاجم لأفهم معنى البنيقة في قول مجنون ليلى

يضم اليّ الليل اطفال حبها كما ضم ازرار القميص البنائق

فما زادني ذلك الاحيرة ولم أفهم معنى البنيقة فهما واضحا يمكنني تعيينه بالاشارة اليه ولكنني عرفت ذلك بعد من والدتي

ألا ليت بعض اهل الغيرة يجمع لنا الكلم المحرف على ألسنة العامة ويرجعه

الى اصله الفصيح لعله يسهل علينا بعد ذلك ان نضبط طرق التحريف فنستفيد من هؤلاء العوام ما يعز علينا ان نستفيده من معاجم اللغة التي تفسر اللفظ في الغالب تفسيرا لا يحـدد المعنى . وعند ذلك نعلم ان عندهم من اللغة مالا يمكن الاستغناء عنه بالكتب التي نعتمد عليها في حفظها

من المشهور عندنا أنهم يبدلون القاف همزة فاذا سمعناهم يقولون « بئية الاميص » نعلم ان اصل العبارة بقية القميص ولكن لهم ضروبا اخرى من التحريف تخفى على غير المدقق فمن ذلك انني كنت اسمع الفلاحين في بلدنا يقولون « فلان يحرط بسنانه » اذا سحق بعض انيابه على بعض من الغيظ حتى سمع لها صريف . وقد وقفت بعد هذا على قول العرب « حرق عليك الأرّم و يحرق عليك الارّم » كقول الشاعر

نبئت أحماء سليمى انما   باتوا غضابا يحرقون الارّما

فلم يفتني ما احفظ من استعمال العامة « حرط الاسنان » عن مراجعة حرق الأرّم وهو هو لاني لا [illegible] يبدلون القاف [illegible] في بعض الاحيان

وجملة القول ان لغة عامتنا عربية بما عرض لها لا يخرجها عن كونها هي اللغة العربية ولا يخرجهم هم من عداد أهل اللغة ، و يغلب على ظني ان العرب الخلص لم تكن تسلم من التفاوت في حديثها بحيث تالتزم الاعراب واظهار الحركات في الشعر والخطابة والمباراة والوصف دون الكلام العادي وحسبنا هذا الالمام الآن

واذا كانت لغة عامة أهل الامصار التي استعربت بعد عجمة تعد عربية مريضة فلغة اهل جزيرة العرب عامة وقبائل الاعراب منهم خاصة عربية أقرب الى الصحة وانا في حاجة الآن الى فهم معاجمنا من الفريقين لنتمكن بعد ذلك من وضع معجم أو معاجم أخرى تحدد المعاني تحديداً موضحاً بالصور والرسوم على الطريقة التي تليق بمعارف هذا العصر وقد سبقنا اليها الغربيون الذين صرنا محتاجين الى السير على طرقهم في جميع ما يصل اليه كسب البشر وجدهم

رأي كبار ساسة الغرب

« في الحركة المدنية الجديدة في الشرق »

قول كرومر في مصر والشرق

خطب لورد كرومر في مجلس الأعيان بلندره خطبة في موضوع اتفاق انكلترا وروسيا الأخير فيها كثير من العبر لنا ان كنا نعتبر فأحببت أن انبه الى ذلك بنقل جمل من ترجمة الخطبة ثم الاشارة الى مواضع العبرة فيها

قال : « ان الحال التي طرأت على الشرق منذ اعوام طوال وهي حال الانتقال من طور الى طور قد اشتدت وتعاظمت في هذه الأيام . فاننا نرى الغرب يسعى الى ادخال آرائه وأفكاره على الشرق في كل مكان أو الشرق يسعى من تلقاء نفسه لان يقتبس من الغرب نظاماً للاحكام يلائمه ولم يكن يعرفه . فأفضى ذلك الى إلقاء العناصر المتناقضة المتضادة كلها في بوتقة سياسية اجتماعية ادارية واحدة لتذوب وتصهر فيها ولا يعلم الا الله ما تكون نتيجة صهرها وامتزاجها معاً

« وأما العناصر المتضادة المشار اليها فاذكرها الآن بالايجاز املاً أيها السادة ان أقنعكم بان لـه كلامي عنها دخلاً حقيقياً في مسألة الاتفاق الانكليزي الروسي . فأولاً اننا نرى العواطف الدينية المتأصلة في النفوس تصارع اللاأدرية أو ما يقرب من اللاأدرية في كل مكان ولا ريب ان اتصال الغرب بالشرق يؤول الى زعزعة الأركان الأدبية التي يقوم عليها بناء الهيئة الاجتماعية الشرقية كلها . وثانياً اننا نرى في كل مكان تقريباً اقواماً ذوي عادات قديمة وآراء وأفكار شائعة وميل شديد الى بقاء القديم على قدمه يشكون اليوم الجري في الأحكام على طرق غريبة عن الشرقيين ولا سابق علم لهم بها .

وثالثاً ان بين الخاصة المتعلمين والعامة الأميين في كل مكان من الشرق وخصوصاً في الهند ومصر بوناً بعيداً وهوة عظيمة اما العامة فلم يحصلوا في هذه

الأيام الا على قليل من المعارف التي تزحزح حجب الجهل من بصائرهم وأما الخاصة المتهذبون فعلى جانب عظيم من المعرفة ولكنها غيرمختمرة بخمير الاختبار والعمل وهم يحاولون ان يحلوا بهذه المعرفة بعضاً من أعوص المسائل وأعسر القضايا التي يشغل حلها عقول الفحول من أهل السياسة والادارة

ولا ننسَ بعد ما ذكرنا اننا نلاقي في بلادنا هذه صعوبات كثيرة . فان نمو الديمقراطية وانتشارها في بلادنا زاد صعوبات القضية التي وصفها المستر بريط منذ اعوام بقوله «انها قضية حكم شعب على شعب» يعني تدبير الشعب الانكليزي لأمور الشعب الهندي . فليت الذين يشتغلون منا بالسياسة في هذه البلاد وهم لا يسئلون عما يفعلون، فيجزمون في الأمور ويبتون، ويقولون ما يشاءون عن هذه المسألة الشرقية ولا يحتاطون، ولا يقدرون عواقب ما يقولون — ليتهم لا يتذكرون احياناً تحذير الدوق ولنجتون حيث قال مخاطباً القوم « ان كنتم تضيعون الهند يوما فكونوا على يقين ان البرلمان هو الذي يضيعها لكم » (استحسان) والذي أتذكره ان دوق ولنجتون [illegible] من عضوي البرلمان وهو غير مجلس الاعيان (ضحك واستحسان)

ولا يغيب من الاذهان أيضا ان الحروب اليابانية الاخيرة أثرت في عقول الشرقيين تأثيرا عظيما وخصوصا عقول اهل الشرق الاقصى ولا عجب في ذلك كله فانما هو نتيجة اختلاط الشرق بالغرب وانتشار التمدن وتقدم المعارف والتعليم واتباع سياسة العقل والكمال التي لا تبق الشعوب المحكومة غائصة في ظلمات الجهل حتى يسهل حكمها على الشعوب المتوسطة عليها . ولكن ذلك مما يوجب التفكير والتدبر ايضا . لا اقول انه يوجب الهم والقلق وانما اقول انه يوجب على الامم التي لها املاك في الشرق ان تزيد عناية وسهرا ويقظة وحذرا عما كانت عليه في كل ماغبر من تاريخها اذ ليس يعلم أحد ما ستكون نتائج الاخبار التي تطرق الى افكار اهالي الشرق الاقصى بعد ما اضحى مبدأ الجنسية يتأصل في الشرق ويحل محل الروابط الاخرى التي كانت تربط الناس هناك معا . على اني أستنتج منذ الآن نتيجة يؤمن الخطأ فيها وهي ان المنافسات والمناظرات التي بين الامم

الغربية المخالطة للامم الشرقية قد زادت الصعوبة جداً في حل كل المسائل الشرقية .

(وهنا ذكر مسألة المغرب الاقصى ومكدونية ثم قال)

وتأملوا مصر ايضاً فاني منذ نحو سنتين ارسلت رسالة الى نظارة الخارجية البريطانية شرحت فيها اخطار حركة الجامعة الاسلامية على مصر فتوهم قوم اني بالغت في امر تلك الاخطار . وتدارك تلك الحركة في الحال وتسكينها بوجه السرعة ظنوا ان توهمهم لم يخل من الصحة . على اني لم ابالغ في ما قلت بل ان اشبه ما يسمونه بحادثة مينا اليوم بصورة جلية واضحة ألقيت من فانوس سحري على حجاب سياسي فجلت الحقيقة لبصائر المتأملين وابانت ان الضغائن القومية يمكن ان تهيج وتتعاظم بسرعة عظيمة واظهرت الصعوبات الحقيقية المستبطنة كل القضايا المتعلقة بالأحكام الشرقية فالنتيجة التي أستنتجها هي وجوب الترحيب بكل ما من شأنه تخفيف الخطر الذي ينجم من تنافس الدول الاوروبية وتناظرها في المسائل الشرقية . ولذلك ارحب بهذا الاتفاق بين انكلترا وروسيا لانه يؤدي الى توطيد اركان السلام في البلدان التي له علاقة بها ويعمل على [illegible] المصالح الاوروبية الاخرى التي يكون لهذه البلدان شأن عظيم فيها ([illegible]) اهـ المراد من الخطبة

وجوه العبرة في كلام اللورد

العبرة في كلام اللورد من وجوه (أحدها) قوله ان الغرب يسعى الى ادخال آرائه وأفكاره على الشرق . فيجب على المشتغلين بالمباحث الاجتماعية منا ان يفقهوا غرض الغرب من ذلك ليعرفوا هل هو خير لهم ام شر ام هو بين ذلك

(ثانيها) تمثيله حالتنا في ذلك الانتقال بإلقاء العناصر المتناقضة كلها في بوتقة سياسية اجتماعية ادارية لتذوب وتصهر فيها . فيجب علينا ان نفقه معنى هذا التمثيل . ما هي هذه العناصر ؟ من هم الملقون لها في هذه البوتقة لتذوب فيها ؟ ما هو غرضهم من اذابة عناصرنا وما هو حظنا منه ؟ هل نحن على بينة من هذا العمل وهل لنا اختيار فيه من حيث هو عمل اجتماعي كبير تنتقل به الامة من طور تعرفه الى طور تجهله فتحسب انها تعرفه وهي لا تعرفه ؟؟

(ثالثها) تبرؤه من العلم بنتيجة ذلك العمل الذي أبرزه في قالب التمثيل

وتفويضه الى الله وحده . فاذا كان مثله في علمه وعمله ، وحنكته واختباره ، وكونه من أشهر صاغة البوتقة التي هي آلة صوغ الامم والشعوب لايدري نتيجة عمله وعمل امثاله فهل يسهل على العناصر التي في البوتقة ان تكون أعلم بهذه النتيجة ؟! يجب التأمل الطويل وعدم الاغترار بالاحداث المعجبين بما أخذوا عن الافرنج من الافكار والعادات التي هي علل الانقلاب

(رابعا) قوله ان العواطف الدينية الراسخة في نفوس اهل الشرق امست تصارع الالحاد والتعطيل وجزمه بأن اتصال الغرب بالشرق يؤول الى زعزعة الاركان الادبية التي يقوم عليها بناء الهيئة الاجتماعية الشرقية كلها . ويمكن جعل هذين القولين مقدمتين لقياس منطقي ينتج نتيجة مزعجة جدا . فاذا كان الاحداث الذين يتبعون كل ناعق بالوطنية والجنسية يحسبون ان هدم اركاننا القديمة امر نافع لسهولة احداث بناء آخر من الجنسية الوطنية فان أصحاب العقل والروية يرون ان البناء اعسر من الهدم وانا نستقبل اخطارا كبيرة في التحول والانقلاب أراها أشد هولا مما يتوقعه هؤلاء وهذا ما يستنبط من كلام اللورد الذي اشار الى نتيجتها بعد بقوله ان مبدأ الجنسية يتأصل في الشرق ويحل محل الروابط الاخرى

« خامسها » قوله في خواص المتهذبين والعارفين منا أن معرفتهم غير مختمرة بخميرة الاختبار

« سادسها » بيان التفاوت بين عامة الشعب وخاصته . وهذا التفاوت يكون دائما مثار التخالف والامة لاتقوى وتعتز الا اذا تكونت من أفراد متقاربين في الافكار والاخلاق والعادات . ألا ان هذا التفاوت بين افرادنا وبيوتنا مثار خطر عظيم

« سابعها » وهو بالنسبة الى المصريين اهمها قوله « ان الضغائن القومية يمكن ان تهيج وتتعاظم بسرعة عظيمة » فهذا أقوى ما يهيج أهل أوربا على أهل الشرق !!

« ثامنها » كلامه في الاختبار الذي تطرق الى اهل الشرق الاقصى - وهو الذي حكم بحرمان اهل المعرفة والتهذيب في الشرق الأدنى منه - وقد يوضح هذا النوع من العبرة ما كتبه مكاتب التيمس في بكين عاصمة الصين اليها في ذلك وهاك موضع العبرة منه نقلا عن المقطم بتصرف لفظي يسير وعنوان جديد وهو :

نهضة الصين

﴿ وسبب ارتقاء اليابان ﴾

قالت التيمس : « يؤخذ من رسالة مكاتبنا ان مملكة الصين الضخمة دفنت في هذه الأيام افكاراً قديمة مضى على رسوخها في اذهان ابنائها قرون عديدة واندفعت بعزم شديد لا يرد ولا يقاوم الى اقتباس التعلم الغربي والاهتداء بعامله الى مناهج التقدم والارتقاء . ولا شك ان هذا النهوض بعد ذلك السبات يعد دليلاً على الشعور الحي في نفوس الصينيين ولا سيما الطبقات المتوسطة منهم فقد طلبوا من الحكومة بصوت واحد ان تتحدى اليابان في اقتباس التعليم الغربي . ولما رأت الحكومة هذه النهضة العامة لم يسعها الا ان تحترمهم وتجيبهم الى مطاليبهم لان الزمان الذي كانت تلك الطبقات تحترم فيه التقاليد القديمة وتنقاد الى الحكومة وذوي الشأن قد مضى وفات منذ انتصرت اليابان على روسيا بل منذ اشتبكت الحرب بين الصين واليابان فان هذه الحرب كانت مبرهنة للصينيين اذ دلتهم على ان قاعدتهم في التعليم عقيمة لا تأتيهم بثمرة ولا تنشيء منهم رجالاً يديرون دفة السياسة ويتفننون في نظام الجندية . أما الحرب الثانية بين روسيا واليابان فقد علمتهم ان التعليم الغربي يضمن لأمة شرقية فوزاً مبيناً على أعظم دولة غربية

ولكنهم أخطأوا في نظرهم لانهم نسبوا نجاح اليابان وفوزها الى ما اقتبسته من علوم الغربيين وفنونهم والحال ان العلوم والفنون لم تقدم بقدر ما أفادتهم كفاءتهم وصفاتهم الشخصية . والتمدن الأوربي انما يعد حلقة وصلها اليابانيون بما أوتوه من شدة الذكاء والاستعداد الشخصي فتم لهم ما أرادوا وعدت دولتهم في مصاف الدول العظمى . ولو وقف الأمر عند حد التمدن الذي اقتبسوه لما نجحوا ولا بلغوا هذه الدرجة . فالمصلحون الصينيون يحسبون تقدم اليابان نتيجة التمدن الغربي فقط وبعبارة أجلى انهم يريدون الاستمساك بأحد العاملين اللذين أرتقى بهما اليابانيون والاضراب عن العامل الآخر وهو أهم من الأول وادعى

الى العناية والاستمساك فاذا اهتموا به وعالجوا أدواءهم الشخصية وقوموا المعوج من عاداتهم وتقاليدهم وكان لهم ذكاء اليابانيين وكفاءتهم فانهم يدركون ما أدركه اخوانهم والا فان التمدن الاوربي والتعليم الغربي لا يفيدانهم شيئاً ولا ينفعانهم غلة

وهب ان هذه الحركة الجديدة تعود بالنفع على الصينيين لكن التعليم الغربي عزيز المنال على الشعب الشرقي الا اذا كان أفراده يستأصلون من نفوسهم ذلك الشعور الراسخ ويراعون مقتضى التعليم الغربي من كل وجه . فانه يغير العادات والاخلاق والعقليات والأديان ويقضي على التقاليد والخرافات قضاء مبرماً . فاذا كان في وسع الصينيين ان يعملوا ذلك كله فالنجاح منهم على طرف الثمام والا فان انقسمت كلمتهم وانتصر قوم للحديث وآخرون للقديم أدى أمرهم الى فوضى عظيمة تحصدهم حصداً فيكون التعليم الغربي قد أفضى الى الهيجان والاضطراب بدلاً من ان يكون وسيلة الى التقدم والارتقاء . وهذا شأن كل أمة شرقية تتلقى التعليم الغربي قبل الاستعداد له والوقوف على مقتضاه

أما اليابانيون فلم ينجوا من هذه الفوضى الا في الزمان الأخير من تشبههم بالأوربيين فقد كان بين المصلحين منهم جماعة من أعضاء الاسرة المالكة تلقوا التعليم الأوربي وتشربوا مبادئه من غير ان يشعروا بما يؤثر في عاداتهم واخلاقهم لأنهم كانوا مستعدين له بالفطرة وليس للتقاليد سلطة على أفكارهم . فنجحوا ونفخوا روح التعليم الغربي في نفوس مواطنيهم ثم سرت هذه الروح تدريجاً من طبقة الى أخرى حتى كان من أمر اليابان ما نراه الآن . ولولا كفاءتهم وصفاتهم الأدبية وميلهم الغريزي الى الأصول الأوربية لما دام سعيهم في تحصيل التعليم الغربي والأخذ به اهـ

« المنار » العبرة في هذا الكلام كله ظاهرة لمن له عين تبصر واذن تسمع وعقل يفكر وقلب يشعر فقد سبق قومنا اليابانيين في هذه البلاد وفي الاستانة الى اقتباس التعليم الغربي والمدنية الاوربية بنحو نصف قرن وهذه حالنا في الانقسام والتفرق . في مثل هذه المباحث فليبحث الجرائد باقلام كتابها واقلام سائر الكاتبين المتبصرين

حجة الاسلام أبو حامد الغزالي

(٤)

تتمة الكلام في رأيه في العلوم الدنيوية

﴿ تابع لما في الجزء التاسع ﴾

(مقدمة رابعة)(١) من عظائم حيل هؤلاء في الاستدراج إذا أورد عليهم اشكال في معرض الحجاج قولهم ان هذه العلوم الالهية، غامضة خفية، وهي أعصى العلوم على الافهام الذكية، ولا يتوصل الى معرفة الجواب عن هذه الاشكالات، الا بتقديم الرياضيات والمنطقيات؛ فمن يقلدهم في كفرهم ان خطر له اشكال على مذهبهم يحسن الظن بهم ويقول لاشك أن علومهم مشتملة على حله وانما يعسر علي دركه لاني لم أحكم المنطقيات ولم أحصل الرياضيات

(فنقول) أما الرياضيات التي هي نظر في الكم المنفصل وهو الحساب فلا تعلق لها بالالهيات وقول القائل ان فهم الالهيات يحتاج اليها خرق كقول القائل ان الطب والنحو واللغة يحتاج اليها الحساب أو الحساب يحتاج الى الطب. وأما الهندسيات التي هي نظر في الكم المتصل يرجع حاصله الى بيان ان السموات وما تحتها الى المركز كروي الشكل وبيان عدد طبقاتها أو بيان عدد الاكر المتحركة في الافلاك وبيان مقدار حركاتها فلنسلم لهم جميع ذلك جدلا أو اعتقادا فلا يحتاجون الى اقامة البراهين عليه ولا يقدح ذلك في شيء من النظر الالهي وهو كقول القائل « العلم بأن هذا البيت حصل بصنع صانع بناء عالم مريد قادر حي يفتقر الى أن يعرف أن البيت مسدس أو مثمن وان يعرف عدد جذوعه وعدد لبناته » وهو هذيان لا يخفى فساده وكقول القائل « لا يعرف كون هذه البصلة حادثة ما لم يعرف عدد طبقاتها ولا يعرف كون هذه الرمانة حادثة ما لم يعرف عدد حباتها » وهو هجر من الكلام مستغث عند كل عاقل

---

(١) من مقدمات كتابه تهافت الفلاسفة

« ثم قولهم ان المنطقيات لا بد من أحكامها هو صحيح ولكن المنطق ليس مخصوصا بهم وانما هو الاصل الذي نسميه في فن الكلام « كتاب النظر » فغيروا عبارته الى المنطق تهويلا وقد نسميه كتاب الجدل وقد نسميه مدارك العقول فاذا سمع المتكايس والمستضعف اسم المنطق ظن أنه فن غريب لا يعرفه المتكلمون ولا يطلع عليه الا الفلاسفة ونحن لدفع هذا الخيال، واستئصال هذه الحيلة في الاضلال، نرى ان نفرد القول في مدارك العقول في غير هذا الكتاب ونهجر فيه ألفاظ المتكلمين والاصوليين بل نوردها بعبارات المنطقيين ونصبها في قوالبهم ونقتفي آثارهم لفظا لفظا ونناظرهم في هذا الكتاب بلغتهم أعني بعباراتهم في المنطق ونوضح ان ما شرطوه في صورته في كتاب القياس وما وضعوه من الاوضاع في ايساغوجي وقاطيغورياس (١) التي هي من أجزاء المنطق ومقدماته لم يتمكنوا من الوفاء بشيء منه في علومهم الالهية ولكنا نرى ان نفرد مدارك العقول في غير هذا الكتاب فانه كالآلة لدرك مقصود هذا الكتاب ونفرده كتابا مفردا نرجع اليه ولكن رب ناظر يستغني عنه في الفهم فيؤخره حتى يحتاج اليه ومن لا يفهم ألفاظنا في آحاد المسائل في الرد عليهم فينبغي أن يبتدئ أولا بحفظ الكتاب الذي سميناه معيار العلم الذي هو الملقب بالمنطق عندهم » اه كلام ابي حامد في فاتحة كتابه تهافت الفلاسفة . وذكر بعد ذلك فهرس المسائل التي اظهر تناقض مذهب الفلاسفة فيها وهي عشرون مسألة ثم قال مانصه :

« فهذا ما اردنا ان نذكر تناقضهم فيه من جملة علومهم الالهية واما الرياضيات فلا معنى لانكارها ولا للمخالفة فيها فانها ترجع الى الحساب والهندسة . واما المنطقيات فهي نظر في آلة الفكر في المعقولات ولا يتفق فيه خلاف به مبالاة »

وقد علم مما نقلناه عن كتابه المنقذ من الضلال ان المسائل العشرين من

(١) لم يكد يشتهر من الكلم اليوناني في المنطق العربي غير هاتين الكلمتين فالاولى (ايساغوجي) وهي علم على الكليات الخمس والثانية (قاطيغورياس) وهي عبارة عن المقولات العشر

الفلسفة الالهية التي بين في هذا الكتاب تناقضهم فيها ليست الا أغلاطا فابتداعات الا ثلاث مسائل عدها من الكفر وهي (١) نكارهم البعث الجسماني زاعمين ان الثواب والعقاب في الآخرة يكونان على الارواح المجردة . و (٢) زعمهم ان العالم قديم أزلي . و (٣) زعمهم ان الله تعالى يعلم الكليات دون الجزئيات (راجع ص ٦٩٩) واما الرياضيات والمنطقيات فليس فيها شيء يسمى بدعة ولا كفرا بل هي علوم حقيقة نافعة وكذلك الطبيعيات وان كثرت فيها الى عهده النظريات

ولعمري انه لولا تساهله وتسامحه لاستخرج اكثر من هذا من أغلاطهم المبنية على نظرياتهم الفاسدة . وما حمله على تلك الحملة عليهم الا ما رآه من كسر كثير من المغرورين بعلومهم القيود التقوى، وتبجحهم بضروب الفخر وزخرف الدعوى، حتى كادت تعم بفتنتهم البلوى ، ولم يكن لها في عصره فائدة دنيوية تذكر . وقد كان رحمه الله فيلسوفا عالما لا نظارا مقلدا . وكيف جعل المسائل الطبيعية من لباب الدين بما تقع فيها من روعة في كتاب الفكر من الاحياء اذ يبحث فيه عن اعضاء الانسان ووظائفها وحكمها وما تألفت منه على طريقة الاطباء حتى انه يذكر عدد عظام العضو . كذلك يبحث في الارض والهواء والبحار والحيوان والنبات بحثا يدل على أنه كان واقفا على علوم التاريخ الطبيعي كما انتهى اليه علم الفلاسفة في عصره الى ما له هو من الرأي المبتكر فيه ومنه ان الماء ليس عنصراً بسيطاً كما كانوا يقولون بل هو مركب وقد حقق رأيه المتأخرون .

ومما بينه من طبائع الحيوان قوله في الكلام على اصناف الحيوانات من كتاب التفكر « لواردنا ان نذكر عجائب البقة اوالنملة اوالنحلة او العنكبوت وهي من صغار الحيوانات في بنائها بيتها وفي جمعها غذاءها وفي الفها لزوجها وفي ادخارها لقوتها وفي حذقها في هندسة بيتها وفي هدايتها الى حاجتها لم نقدر على ذلك فترى العنكبوت يبني بيته على طرف نهر فيطلب اولا موضعين متقاربين بينهما فرجة بمقدار ذراع فما دونه حتى يمكنه أن يصل بالخيط بين طرفيه ثم يلقي اللعاب الذي هو خيطه على جانب ليلصق به ثم يغدو الى الجانب

الآخر فيحكم الطرف الآخر من الخيط ثم كذلك يتردد ثانيا وثالثا ويجعل بعد ما بينهما متناسبا تناسبا هندسيا حتى اذا أحكم معاقد القمط ورتب الخيوط كالسدى اشتغل باللحمة فيضع اللحمة على السدى ويراعي في جميع ذلك تناسب الهندسة ويجعل ذلك شبكة يقع فيها البق والذباب ويقعد في زاوية مترصدا لوقوع الصيد في الشبكة فاذا وقع الصيد بادر الى اخذه واكله فان عجز عن الصيد كذلك طلب لنفسه زاوية من حائط ووصل بين طرف الزاوية بخيط ثم علق نفسه فيها بخيط آخر وبقي منكسا في الهواء ينتظر ذبابة تطير فاذا طارت رمي بنفسه اليه (١) فاخذه ولف خيطه على رجليه واحكمه ثم اكله.

« وما من حيوان صغير ولا كبير الا وفيه من العجائب ما لا يحصى. أفترى أنه تعلم هذه الصنعة من نفسه او كوّنه آدمي أو علمه؟ اولا هادي له ولا معلم؟ افيشك ذو بصيرة في أنه مسكين ضعيف عاجز؟ بل الفيل العظيم شخصه الظاهرة قوته عاجز عن أمر نفسه، فكيف هذا الحيوان الضعيف؟ افلا يشهد هو بشكله وصورته وحركته وهدايته وعجائب صنعته لفاطره الحكيم وخالقه القادر العليم؟ فالبصير يرى في هذا الحيوان الصغير من عظمة الخالق المدبر وجلاله وكمال قدرته وحكمته ما تتحير فيه الالباب والعقول فضلا عن سائر الحيوانات. وهذا الباب ايضاً لا حصر له فان الحيوانات واشكالها واخلاقها وطباعها غير محصورة وإنما سقط تعجب القلوب منها لأنسها بكثرة المشاهدة. نعم اذا رأى (الانسان) حيوانا غريبا ولو دوداً تجدد عجبه وقال: سبحان الله ما أعجبه! والانسان أعجب الحيوانات وليس يتعجب من نفسه » اه

فعلم من كلّ ما تقدم أن رأي الغزالي في العلوم الدنيوية بطريق التفصيل هو أن كل علم يحتاج اليه الناس في معايشهم ومصالحهم فهو من فروض الكفاية وما زاد عن الحاجة من مباحثه الكمالية يعد فضيلة لا فريضة كما صرح به في الكلام على علم الحساب من الاحياء. وما لا يحتاج اليه منها الا لنحو تسلية فهو

(١) هكذا ذكر الضمير مذكرا في هذه الكلمة وما بعدها ولعله قد سقط قبلها كلام فيه ذكر الصيد مثل « جعلها (أي الذبابة) صيدا » رمي بنفسه اليه الخ

مباح مالم يكن فيه ضرر أو مفسدة دينية او دنيوية . وأن ما كان ضارا منها فهو محرم كالسحر والتلبيس والدجل . وان العلوم الرياضية لا ضرر في شيء منها وان العلوم الطبيعية اذا قرنت بالعبرة وتنبيه الذهن الى ما فيها من الحكم الدالة على علم الخالق وحكمه ورحمته تكون من علوم الدين التي حث عليها القرآن واذا اتبعت فيها الطريقة النظرية اليونانية تكون قليلة الجدوى كثيرة الاغلاط ولكن الغلط فيها لا يصادم عقيدة الاسلام ولا يقتضي خروج صاحبه من الدين . وان في الفلسفة الالهية ثلاث مسائل تعد من الكفر الصريح . وقد ذكرناها آنفا . وأن علم المنطق من مقدمات علم الكلام . وأما علم الكلام فهو ضار بالعوام ويجب ان لا يوجه الا لمن عرضت لهم الشبه في عقائدهم أو لمجادلة من يوجهون الشبه الى المسلمين لتشكيكهم في دينهم كما يأتي . وهو عنده وعند علماء الصوفية العارفين غير علم التوحيد ولذلك جعل التوحيد والتوكل كتابا في الاحياء غير كتاب قواعد العقائد. على ان ما كتبه في قواعد العقائد ليس فيه من جدل المتكلمين الا قليل بقدر الضرورة . وقد علم ان المتكلمين مزجوا بين علوم [illegible] الطبيعية والفلسفة اليونانية وبين العقائد الاسلامية وسموا ذلك كله علم الكلام ولذلك قيل ان موضوع علم الكلام هو الوجود والغزالي لا يعده من علوم الدين

بل من رأيه ان علم الاحكام الذي يسمونه الفقه من علوم الدنيا لامن علوم الدين وأن طلاب الآخرة يكتفون من هذا العلم بقدر ما يحتاج اليه في القضاء والافتاء ولا يشتغلون باستنباط مالا تدعو الحاجة اليه بل يصرفون سائر الوقت في علم الدين والعمل الذي يقرب العبد من ربه عز وجل كما نفصل ذلك في الفصل الآتي

(رأيه في العلوم الشرعية)

قسم العلوم في الباب الثاني من كتاب العلم من الاحياء الى محمودة ومذمومة والمحمودة الى شرعية وغير شرعية . وقد تقدم بيان رأيه في العلوم غير الشرعية وأن منها ما هو فريضة وما هو فضيلة وما هو مباح . وقال « واما المذموم منه فعلم السحر والطلسمات وعلم الشعوذة والتلبيسات » ثم تكلم بعد ذلك في العلوم الشرعية

وقبل أن نذكر تفصيل رأيه فيما نذكر رأيه في العلم الذي هو فرض عين

العلم الذي هو فرض عين

وذكر في اول الباب الثاني اختلاف العلماء في العلم الذي هو فرض عين على كل مكلف وزعم كل من غلب عليه علم من التفسير والحديث والكلام والفقه والتصوف ان علمه هو فرض العين. وجزم هو بأن فرض العين هو العلم بمعنى كلمتي الشهادة وما يتبعه من العقائد السمعية من غير شك ولا اضطراب والعلم بالطهارة واحكام الصلاة عند دخول وقتها وباحكام الزكاة عند وجوبها على المكلف وكذلك الحج وباحكام الصوم عند مجيء رمضان وكذلك حكم كل ما يكون بصدد العمل به فاذا تصدى التجارة وجب عليه معرفة ما يحترس به من الوقوع في الحرام بقدر الحاجة حتى انه قيد وجوب تعلم الحذر من الربا بشيوعه في البلد، وكذلك تحريم اكل الخنزير ونحوه. وهو يقول في مواضع من كتبه ان المكلف اذا مات قبل ان يعلم شيئاً مما يذكره المتكلمون في صفات الله تعالى كعلمه وكلامه هل هي عين الذات او غير الذات وهل هي قديمة أو حادثة بالكلام بعكس ذلك العلم وقبل ان يعلم بتحريم كثير من المحرمات التي لم يكن عرضة للوقوع فيها فلا يكون ناقصا في دينه ولا مسؤلا يوم القيامة عما جهله من ذلك ونحوه.

و بعد تفصيل في ذلك قال « وهذا هو الحق في العلم الذى هو فرض عين ومعناه العلم بكيفية العمل الواجب فمن علم الواجب وقت وجوبه فقد علم العلم الذي هو فرض عين

« وما ذكره الصوفية من فهم خواطر العدو (الشيطان) ولمة الملك حق ايضا ولكن في حق من يتصدى له فاذا كان الغالب أن الانسان لا ينفك عن دواعي الشر والرياء والحسد فيلزمه ان يتعلم من ربع المهلكات «١» ما يرى نفسه محتاجا اليه. وكيف لا يجب وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاث مهلكات شح مطاع

(١) المهلكات هو الربع الثالث من كتاب الاحياء الذي يذكر فيه الاخلاق المذمومة وكيفية معالجتها بعد التلبس بها والاحتراس عنها قبله

وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه » « ١ » ولا ينفك عنها بشر . وبقيةما سنذكره من مذمومات أحوال القلب كالكبر والعجب « ٢ » واخواتها تتبع هذه الثلاث المهلكات وإزالتها فرض عين ولا يمكن ازالتها الا بمعرفة حدودها ومعرفة اسبابها ومعرفة علاماتها ومعرفة علاجها فان من لا يعرف الشر يقع فيه والعلاج هو مقابلة السبب بضده وكيف يمكن دون معرفة السبب والمسبب؟ فاكثر ماذكرناه في ربع المهلكات من فروض الاعيان وقد تركها الناس كافة اشتغالا بما لا يعني »



(١) وفي نسخة الشارح زيادة لفظ « الحديث » وهي اشارة الى ان لانمة وهو بطوله كما رواه البزار في مسنده وابو نعيم في الحلية من حديث أنس « ثلاث كفارات، وثلاث درجات، وثلاث منجيات، وثلاث مهلكات . اما الكفارات فانتظار الصلاة بعد الصلاة ، وإسباغ الوضوء في البردات، ونقل الاقدام الى الجماعات، واما الدرجات فاطعام الطعام ، وإفشاء السلام ، والصلاة بالليل والناس نيام . واما المنجيات فالعدل في الغضب والرضا ، والقصد في الفقر والغنى، وخشية الله في السر والعلانية . واما المهلكات فشح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه» ورواه بسياق المصنف غير واحدوله اسانيد كلها ضعيفة

(٢) العجب هو الاعجاب ولعله اراد الحسد او نحوه فسبق قلمه ان لم يكن الغلط من الناسخين

تعريف وكلام عام (*)

« في العربية والاستعراب ، والتعريب والاعراب »

لا الاخذ بالتعريب يضرها ولا
الاعراب ينفعها وانما نفعها
وضررها على حسب عموم بالها

كلام يجر الى كلام ، وحديث يسوق الى حديث ، والشيء بالشيء يذكر ، والند مع الند يقرر

ان مبحث التعريب الذي خطب فيه الفضلاء هذه الايام قد تدرج ببعضهم الى ذكر العرب والاستعراب ، ثم مال فكري الى غير ما ذكروه من الابواب ، فاحببت ان اعرب الآن عن بعض ماجال بفكري مما يحوم حول هذا المبحث وهي موضوعات متعددة احببت ان أوجه الكلام فيها وآتي به مشتبكا بعضه ببعض فلعلك تعرف الكتاب من عنوانه وتقف على ما يعجبك في شيء من بيانه

***

قال بعض الظرفاء اذا كان وطن العرب شبه جزيرتهم فرأس مالهم لايزال كما هو والربح من بعده كثير

ونحن نأخذ هذا الكلام على وجهه من الجد صارفين النظر عن وجهه من الظارف ونقول نعم اننا نجد في عرب اليوم عرب أمس وزيادة

نجد هذا في اللغة والاخلاق والعاد والحالة الاجتماعية والسياسية والجغرافية ولعل القارئ اذا جلي امام نظره ما يشهد لهذا يظن نفسه في رواية تمثيلية ، بيد أنها طبيعية لاصناعية ، وحقيقية لا خيالية ، ميادينها الفيافي والفدافد الواسعة ، لادائرة صغيرة ضيقة ، وأبطالها الملايين الكثيرة لا نفر من الناس

---

*) جاءتنا هذه المقالة من السيد عبد الحميد الزهراوي بعد طبع مقالة الاسكندري وتعليقنا عليها

ولو نشر اليوم احد الجدود الاقدمين في اوربا مثلا لأنكر فيها كل شيء ولكن لو نشر احد الجدود الاوربيين في شبه جزيرة العرب لما انكر فيها شيئا فان كل ماترك من مأوى ومركب وسلاح وماعون وكساء وغذاء وقبائل وملاحم ومغازي ومفاوز وفدافد يجد خلفاءه لم يحدثوا فيه حدثا ولم يصدوا فيه الى تغيير يجد الخيام من الاوبار والجلود ، ويجد السيوف والرماح والمجانّ والدروع ويجد الصافنات والعاديات ، والقلائص والرواحل والرواحل والعشار واليعملات ويجد الصاع والقصاع ، والبرم والقدور والقداح ، ويجد القمصان والعمائم والبرود ، والخفاف ، ويجد المصائد والجزائر والمراشي والبر والشعير والتمر والزبد والالبان ، ويجد بني صخر وبني حرب وبني عامر وبني وائل وبني بكر وبني طي وبني فلان وفلان ، ويجد حروبا بين هذه القبائل قائمة ونيرانا مستعرة ، يتواعدون الايام لمنازلاتهم ويتربصون الفرص لغاراتهم ، ويجد يد الطبيعة لم تزل موضوعة على حالها في تلك الطلول والديار وهاتيك المنازل والمناهل لم تدن منها يد الصناعة في شيء من الاشياء

كانت جزيرة العرب اقساما وهي اليوم كما كانت تهامة والحجاز واليمن وحضرموت وظفار والبحرين ونجد وبوادي الشام والعراق . كانت هذه البلاد تختلف وهي الآن كذلك . فتهامة والحجاز لم يكن فيها حرث وزرع الا قليلا وكان اهلها اولى شظف في العيش غالبا ولا يزال القوم على هذه الحال . واهل اليمن مع محافظتهم على جميع عادات العرب كان لهم حرث وزرع وهم اليوم هكذا . واهل حضرموت وظفار والبحرين كان لهم حظ بالتجارة والاتصال بالهند مع المحافظة على سنن العرب ولا يزالون اليوم على هذا المنوال . وكانت نجد كالحجاز الا في زيادة المزارع وهي الآن كذلك ، وكانت بوادي الشام والعراق مابين قريب الى المعمور وبعيد عنه وشأنهم مع اصحاب الممالك على حسب القرب والبعد وهي اليوم هكذا

وبالجملة كان اهل هذه الجزيرة رواد معايش وطلاب اداة وماعون ويتصل من أجل ذلك كل قسم منهم بالبلاد القريبة منهم ويقتبسون منهم شيئا من

العادات والاعتقادات ويكون لهم معهم شأن من الشؤون في الروابط السياسية والاجتماعية وهذا الحال عينه مشاهد اليوم فيهم بالتمام وزد عليه أنهم كانوا في أنفسهم شعبا واحداً في لغة واحدة، وبيئة واحدة، وعادات واصطلاحات تكاد تكون واحدة

فالبيئة لم تتغير ولم يتطرق اليها انقسام جديد غير ما ذكر · والعادات والاصطلاحات لم تتغير ولم يطرأ اليها من الروابط الا ما كان يطرأ مثلها من قبل · وكذلك اللغة لم تتغير · وكل من زعم تغيرها كان زعمه مبنيا على الظن والتخمين وضعف علم بالماضي والحاضر

فمخارج الحروف في لغة هؤلاء لا تزال كما وصفها لنا الناقلون كسيبويه وغيره والمصادر التي تجدها منقولة عن العرب هي موجودة اليوم في لغة هؤلاء العرب الا ما أوجده بعض مدوني العلوم أخذاً من اللغة نفسها وجرياً على سننها

والاشتقاق من المصادر هو على حاله وجميع المشتقات تدور في لغة عرب اليوم على الوجه الصحيح واذا كنا نحن نجهل بعض المشتقات فعلاً وشكلاً المتعلمون منا تصحيحها نجدها كلها موجودة عندهم بالفطرة يلقونها وهم أطفال وتصير المعرفة بها غريزية لهم فقد تسمعها من صغارهم مثل كبارهم على حد سواء ولا يحتاج المخالف الا الى تجربة بسيطة

والالفاظ التي تدل على الأمور المحسوسة موجود منها في لغتهم كل ما هو في المعاجم الا ما حدث في عهد حضارتهم واتساع دولتهم وهذا المستثنى ليس دليلاً على تغيرها بل هو دليل على عدم تغيرها لأن بعض ما حدث في الحضارة لم يحدث فيهم فهم من هذه الجهة قد بقي فيهم رأس المال لم يتغير وما حدث في الحضارة هو زائد ·

وقواعد التركيب وقوانين الترتيب من التقديم والتأخير والوصل والفصل والحصر والاظهار والاضمار والافراد والجمع والأدوات ومواقعها وتأثيرها باقية أيضا كما هي

فاذا كانت المخارج محفوظة، والمصادر باقية على حالها ، والاشتقاق لم تفسد طرائقه ، وأسماء الاشياء لم تتغير ، وقواعد التركيب وقوانين الترتيب وصيغ

الافراد والتثنية والجموع والضمائر كما هي فأي تغير طرأ على لغة القوم ؟

نجد الحضري في مصر والشام مثلاً يقول النساء «راحوا» وهو خطأ لأن الواو ضمير الذكور ، وأما البدوي أو ابن جزيرة العرب فانه يقول النساء رحن وهو الصواب كما نقل عن الأولين

ونجد الحضري في مصر يقول «فلان يضرب» بفتح الراء ، وفي الشام يقولون «يضرب» بضم الراء ، وكلاهما خطأ وأما البدوي أو ابن جزيرة العرب فانه يقول «يضرب» بكسر الراء وهو الصواب كما نقل عن الأولين .

ولو أردنا ان نورد الشواهد لهذا لاحتجنا الى مجلدات فنحن نستغني عن هذا بأن نحيل من لم يثق بقولنا على التجربة ومخالطة هؤلاء العرب ولو قليلاً

وانما يصح أن نعدّ من التغير تركهم حركات أواخر الكلم . هذا اذا صح ان الأولين كانوا ينطقون بها دائماً واما اذا صح ما يذهب اليه بعضهم من ان الحركات لم يكن الأولون يستعملونها الا في لغة الشعر وحالات مخصوصة فلا يكون هؤلاء مبتدعين بتركهم سنة من سنن الأولين ويصح ان نعد من التغير اهمالهم ضمير المثنى واهمالهم بعض الأدوات التي يقوم مقامها غيرها أو يمكن الاستغناء عنها فما تركه أكثر القبائل من الأدوات « هل » استغناء عنها بهمزة الاستفهام أو بقرينة الاستفهام . ومما تركوه « قد » التي للتحقيق والتي للتقليل استغناء عنها بالقرائن . ومما تركه أكثرهم « لم » التي تدخل على المضارع فتحيل معنى الفعل المنفي للماضي تركوها استغناء عنها بما التي تدخل على الماضي مباشرة فان « ما ضرب » مثل « لم يضرب » بالتمام . ومما تركوه « لمّا » التي تفيد استمرار النفي في الماضي الى الوقت الحاضر

هذا كل ما عرفته مما تركوه بعد امعاني زمناً طويلاً في مخاطباتهم وسماع شعرهم ورأيتهم أيضاً لا يستعملون التنوين الا للتنكير ولا يحذفون النون لناصب أو جازم

وبديهي ان هذا التغير ليس من التغير المفسد ثم انه لقلته غير جدير ان يعد فاما إهمال الحركات فهو جائز عند أهل الاعراب في حالة الوقف وماذا على القوم اذا أجروا الكلمات كلها مجرى الكلمات الموقوف عليها واذا ضممت الى هذا

المنزع ما نعرفه من اختلاف لغات الأولين في حالة الاعراب كما نقله الينا الناقلون لم يصعب عليك ان تعد اهمال الحركات لغةً من اللغات هي خير من بعض تلك اللغات التي تهدم كل ما تقلوه من قواعد الاعراب . فقد نقلوا لنا ان بعض العرب كانوا يرفعون المفعول وينصبون الفاعل وليس شيء فوق هذا مما يمحق كل مايرجونه من فوائد الاعراب . ومن أحاط علماً بكل ما نقل في هذا الباب أو أكثره لا يجد قاعدة ما بنوه الا وهي منقوضة بشيء آخر قد سموه من شواذ اللغات فأي ضرر يحدث من هذه اللغة التي يهمل فيها الحركات ويسد فيها باب الاعراب ألم تروا ان هؤلاء القوم يتفاهمون والحالة هذه تمام التفاهم ؟

ولقد تقصيت كثيراً من الدواوين المنسوبة الى شعراء الجاهلية والمخضرمين فألفيت فيها كثيرا ما قد خالفوا فيه قواعد الاعراب مخالفة ظاهرة واضحة لا تحتمل التأويل وانما قلت انها ظاهرة لانها واقعة في القوافي وسأفرد لهذا الموضوع مبحثاً مستقلا بيد أني آتي هنا بأمثلة تؤيد ما قلته . قال جرير :

« حملت امراً عظيماً فاصطبرت له   وقمت فيه بأمر الله يا عمرا »

والقاعدة تقضي ان يقول يا عمرُ بضم الراء . وقال :

« فالشمس كاسفة ليست بطالعة   تبكي عليك نجوم الليل والقمرا »

ولا وجه لنصب القمر . وما تكلفوه من التأويل في الاعراب غير مرضي لدى الاذواق التي سلمت من التمحل . وقال من قصيدة قافيتها نون مكسورة من بحر الوافر :

« عرفنا جعفراً و بني عبيد   وانكرنا زعانف آخرين »

بكسر النون والقاعدة تقتضي فتحها وليس كسرها لغة لقومه فيما روي . و بعد هذا البيت :

« أتوعدني وراء بني رياح   كذبت لتقصرنّ يداك دوني »

وقال من قصيدة قافيتها باء مفتوحة من بحر الوافر :

« ألم ترَ انّ زيد مناة قرم   قراسية تذل به الصعابا »

والقاعدة تقتضي رفع الصعاب بعد قوله "تذلّ" بالتاء . واذا خالفنا الموجود في النسخ المطبوعة والخطية وقرأناها « تذلّ » بنون المتكلمين قد يستقيم المعنى ولا يتأذى الاعراب فعسى ان تكون صحة الرواية على هذا الوجه . وقال من قصيدة قافيتها راء مكسورة من الوافر :

« لقد نادى اميرك باتكار ولم يلوا عليك ولم تزار »

والقاعدة تقضي بأن تكون الكلمة التي بعد لم الثانية « تزر » لا تزار

وانا لا اقصد بهذا احداث مذهب جديد هو اهمال الاعراب بل اقصد تأييد ان اللغة العربية التي كانت قبل ثلاثة عشر قرناً او اربعة عشر قرناً او اكثر هي باقية اليوم في وطنها كما هي لم يطرأ عليها تغير ولا سيما عند أهل الخيام العريقين بها واقصد ايضاً ان اذكر الناس بان اهمال الاعراب لا يضر هذه اللغة كما لم يضر كل اللغات الحالية منه

واما اهمالهم ضمير المثنى [illegible] كبيراً من الامر بل هو تخفيف الكلمة مما لا حاجة اليه . أقول لا حاجة اليه لان الضمير لا يذكر الا من بعد معرفة الاسم الظاهر اما بذكر لفظه أو بسبق وجوده في ذهن المخاطب فمتى كان الظاهر معروفاً أنه مثنى لم يبق لاجل الافادة حاجة الى تثنية الضمير ولم يكن من بأس ان يدخل في حكم ضمير الجمع لأن الجمع يصدق على ما فوق الواحد فمتى قلت الرجلان لم يضرك من حيث المعنى ان تقول جاءوا كما تقول ذلك في الرجال ومثل هذا اذا قلت الفارس والراجل تقابلوا بدل تقابلا او اذا قلت الفارسان غلبوا بدل غلبا . ولهذا شواهد وأمثلة من اللغة الفصيحة نفسها وكذلك لا أقصد بهذا احداث مذهب جديد في العربية ولكنني أقصد بيان ان هذا ليس من التغيير المفسد بل هو استغناء عما لا حاجة اليه ومثل هذا يقال في اهمالهم بعض الادوات تخففاً منها او استغناء بغيرها عنها ولا يعزب عن الذي تتبع القول ان كثيراً من القبائل عندها ما ليس عند غيرها ولا يعد تركه الآخرين لمثلها تغييراً للغة

•••

أثبتنا بما قدمنا ان رأس المال باق على حاله والآن نذكّر القارئ بتلك الحركة العربية التي ازدان التاريخ بأخبار همم رجالها فقد نقلت هذه الحركة رأس المال الى ديار كثيرة واسعة فربا فيها وزادت الديار العربية والمتكلمون باللغة العربية وصارت هذه اللغة لغة علم ودين وسياسة فدونت بها الدواوين التي لا تحصى في كل فن من فنون المعارف

واماما الآن من هذا الربح حواضر عظيمة في آسيا وافريقيا ففي آسيا ديار العراق استعربت بعد ان كانت فارسية وحواضر الشام استعربت بعد ان كانت سريانية وعبرانية ورومية وفي افريقيا مصر استعربت بعد ان كانت قبطية وطرابلس وتونس والجزائر ومراكش استعربت بعد ان كانت بربرية ونسمي مجموع هؤلاء مستعربي الاقطار

صارت هذه البلاد التي عددنا عربية ولكن ليست عربيتها كتلك العربية الأولى يدان هذا النقص لا يشعرها ولا يخرجها من كونها عربية ولا يعدم أهلها سهولة اصلاحها [illegible] الكتب اللغوية التي تصف العربية الصحيحة او من العرب الاحياء الذين هم وارثو تلك العربية .

اقول ان هؤلاء العرب الاحياء مرجع المستعربين اذا شاءوا اصلاح لغتهم لان حكمهم على ما اوضحنا كحكم آبائهم الاولين ولن يمكنك ان تحيط خبراً بمخارج الحروف مما يصفه لك كتاب سيبويه مثلا كما تحيط بها خبرا اذا سمعتها من عربي من هؤلاء العرب الذين وصفناهم لك ولن تستطيع ان تأخذ من الكتب اللهجة العربية التي عليها المعوّل فانك تجد اليوم الطرابلسي لهجة والتونسي لهجة والعراقي والشامي والمصري ولا تجد واحدة منها صحيحة حتى اذا سمعت لهجة البدوي او الحجازي مثلاً رأيت جمالا في اللهجة تعرفه الاذن ولا يستطيع ان يصفه لك أحد فاذا سمعت من هذا وذاك من اهل الحواضر ثم سمعت من ذلك العربي ميزت وحكمت بالفرق وآمنت ان وجود العرب في وطنهم امان من ضياع العربية

وأحب هنا ان انبه على امر ربما استدركه عليّ بعض المطالعين وهو ان العرب الفاتحين بقايا ذراري في الحواضر وانه ينبغي ان لا يسلب هؤلاء صفة العربية

مادامُوا حافظين سلسلة انسابهم فجوابي لمن يقول هذا القول اننا الآن في صدد اللسان واللغة لا في صدد علم النسب ولا يخفى على اللبيب ان البلاد التي استعربت لم يكن كل اهلها من سلالة اولئك العرب بل هم خليط اكثرهم من اهل تلك البلاد الاقدمين قد غلبت العربية على لغتهم فاستعربوا من غير ان يتقنوا النطق بالعربية كالعرب وضاع ابن العربي في هذا المجموع من جهة اللسان اذا كان لم يضع نسبه . ثم حفظ العلماء لكل مخارج العرب وصورة أدائهم الكلمات وأساليب البيان

والخلاصة ان عربية المستعربين طرأ عليها فساد ولكن لها حوافظ وان ذلك شأنها قبل اثنى عشر قرناً وهذا شأنها اليوم وقد كان حفظتها ينشطون حيناً ويثنون حيناً

ولعل المطالع يحب ان يعرف كيف نشاط المستعربين اليوم المنتشرين في افريقيا الشمالية ثم سواحل البحر الاحمر [illegible] وراءه شمالا الى شواطئ الفرات وغربا الى شواطئ البحر المتوسط فنقول [illegible] اليوم باللغة العربية هي مصر صانها الله وبارك عليها وعلى اهلها وقبل ان توضع له برها باللغة العربية تعربه مرة على جميع مساكن هذه اللغة حتى يكون له نصيب من كل ما يحوم حوم مادة « ع رب » كما سبقت الاشارة اليه في صدر هذا الكلام

من انحدر من جزيرة العرب الى نجد ومنها الى العراق يجد ثلاث حواضر تتبعها بلاد كثيرة البصرة وبغداد والموصل فاهل ولاية البصرة كلهم يتكلمون بالعربية واهل ولاية بغداد اكثرهم يتكلمون بها واهل ولاية الموصل اكثرهم اكراد بيد ان حاضرة هذه الولاية عربية وفي عربية العراق في الجملة كثير من الدخيل ولاسيما في ولاية الموصل . والعربية في العراق واقفة على ما تركها أهل القرون الماضية من العامية لحرمانهم من الصحافة العربية ولولا العلماء والمتعلمون لاضر بها هذا الوقوف ومن سار من ولاية الموصل الى الغرب يلقى في طريقه من الديار العربية ولاية حلب وحلب محسوبة من الشام ولكن ولاية حلب شأنها في هذا الباب عجب فان فيها كثيرا من القرى التركية الى جانب القرى العربية وكل من اهل

هذه وتلك محافظون على لسانهم ومع اكثرهم بلسان جيرانهم فاما أهل حلب نفسها فعربيتهم كعربية البلاد الشامية ومن اعمال هذه الولاية بلدة تحيط بها التركية والكردية من كل جانب واهلها لايتكلمون الا بالعربية وهي بلدة « ماردين » التي كان فيها الملوك بنو أرتق وأغرب من هذه بلدة أخرى في ولاية بتليس اسمها « سعرد » فان أهل ماردين قريبون من الديار الحلبية التي تغلب فيها العربية واما « سعرد » فهي منقطعة عن الديار العربية أيما انقطاع ، ومتوغلة ضمن الديار الكردية والأرمنية أيما توغل ، وهي مع هذا محافظة على اللغة العربية ولعل كثيراً من عوامها لايعرفون سواها ولكن عربية « سعرد » هذه نمط مستقل فانهم نسوا بعض المخارج كما نسوا قليلا من مفردات الاسماء واستبدلوا بها من لغات جيرانهم ومع ذلك فهوا كل مميزات اللغة من الاشتقاق وأساليب التركيب وبالجملة هي عربية من كل وجوه [illegible] كلمات البرابرة المستعربين في المغرب .

ومن سار من ولاية حلب الى الجنوب [illegible] عربية محضة تتجزأ الى أربع ولايات ولاية سورية (دمشق) ومتصرفية لبنان وولاية بيروت ومتصرفية القدس ولا أعرف بلادا تختلف لهجة أهليها بمقدار ماتختلف لهجة أهل هذه البلاد ولكن الدخيل في لغتهم قليل كما هو الشأن في مصر ولم يبق في الشام ممن يتكلمون بلغة قديمة الا قرية أو قريتين يتكلمون بالسريانية فيما بينهم على ما بلغنا ومثل هذه المحافظة على لغة ما أكثر من ألف عام في محيط كله أجنبي عن هذه اللغة من غريب الأمور

والعربية في الديار الشامية أمثل منها في العراق كله لأنها غير واقفة عند عاميتها الأولى كما هو الأمر هناك بل هي سائرة مع الارتقاء الذي أحدثته الصحافة في اللغة في مصر وسورية ومن عرف العامية في البلاد الشامية قبل ثلاثين سنة وعرفها اليوم يشعر بالفرق العظيم الذي أشرنا اليه

فاذا جاوزنا البر الاسيوي الى العدوة الأفريقية وهبطنا قطر مصر نجد أمامنا

العربية كما تركناها خلفنا فاذا سرنا من مصر الى الجنوب وجدناها في السودان المصري واذا سرنا منها الى الغرب ألفيناها في طرابلس فتونس فالجزائر فالمغرب الاقصى

ومن غرائب المصادفات اننا كما نجد مصر واقعةً في ملتقى جغرافي بين عرب المشرق وعرب المغرب نجد عربيتها أيضاً في ملتقى حيوي بين العربية المشرقية والمغربية فعربية مصر أقرب الى العربيـة الصحيحة من سائر عربيات الاقطار المشرقية وما قرب منها أو بعد من المشرق أو المغرب كان قربه الى الصحة على نسبة قربه من هذا الملتقى فلغة الشام وان خالفت لغة مصر هي مثلها أو قريب منها في القرب من اللغة الصحيحة . ولغة العراق ليست كذلك . ولغة طرابلس وتونس قريبة من لغة مصر وليست كذلك لغة الجزائر والمغرب الاقصى

وتمتاز مصر على سائر الديار العربية بأمور أجلها كثرة العدد فليس هناك قطر عربي يقارب عدد أهله عدد أهل هذا القطر . فالديار الشامية وهي جارة هـذه الديار لا يتجاوز أهلها ستة ملايين نسمة مع اتساعها من حدود شبه جزيرة سينا الى جزيرة ابن عمر جنوبا وشمالا ومن شواطئ البحر المتوسط الى صحراء العرب على هـذا الامتداد شرقاً وغرباً وهي مسافة ليست بقليلة ولكن هناك أسباباً كثيرة جعلت سكانها قليلين ومثـل ذلك العراق باتساع المسافة ولا يبلغ أهله أربعة ملايين وجزيرة العرب على اتساعها اكثرها فدافد وليس لاهلها من احصاء رسمي لان البداوة هي الغالبة على أكثر بقاعها لكن المشهور أن أهلها كلهم الحجازيين واليمنيين والنجديين لا يتجاوزون ثمانية ملايين وفي أفريقيا أقاليم عربية لا يبلغ أقليم منها في العـدد مبلغ مصر فالمغرب الاقصى أكبرها لا يحزرونه الا ثمانية ملايين فأين هذا من اثني عشر مليونا في مصر

ومما تمتاز به مصر حرية الطباعة والتأليف ونشر الافـكار وسهولة الاجتماع وتيسر التعاون فاذا ضممت الى هذه المزايا فوز لغتها بالدنو من العربية الصحيحة اكثر من سائر لغات الاقطار المشرقية تبين لك أن مصر جديرة ان تكون اليوم عاصمة اللغة العربية وأنها اجدر البلاد بأن تكون محط هذه الرحال ومناط هؤلاء

الرجال ، فأزهرها المعمور يعلم لنا الالوف من الشبان قواعد اللغة وحوافظها من الضياع ، ومطابعها الوافرة تهدي الينا أنفس ذخائر الاولين ، واعلاق الدقة والحفظة من السَّرَاة الكاتبين ، وعلماؤها الافاضل لايضنون باوقاتهم الثمينة بل يبذلونها في العناية بها من كل وجه يقتضي العناية

ولقد تمهد رجال من افاضل دار العلوم ان يخصوا اللغة العربية بعناية زائدة وأهدونا باكورة مباحثهم وهو مبحث التعريب (جوازه اليوم أوعدمه) فالفيناثمرات شهية من نتاج هاتيك الافكار الرائقة الراقية

وعندي ان جواز التعريب اليوم وغداً كجوازه لسلفنا أمس بديهي بيد ان الذين لم يروه بديهيا اذ مالوا الى عدم تجويزه هم فضلاء كلهم كبار العقول غزيرو المادة فلذلك اوجبت على نفسي ان ابحث عن سر خوفهم على اللغة الذي دعاهم للحذر والتحذير من التعريب وبعد الامعان الطويل وجدت سر ذلك هو شدة الحب للغة

قلت شدة الحب ولم اقل الحب لأن الحب موجود عند جمهور أبناء اللغة واما شدة الحب فلا توجد الا عند بعض الافراد من ابنائها وشدة الحب تورث سوء الظن والقلق احيانا مما لا يوجب مثله القلق ومن اقرب الأمثلة التي شاهدتها في هذا الباب اني رأيت على شاطئ النيل رجلا وزوجته ومعهما اولاد ورأيت الاب نزل بأحد الاولاد الى حافة الماء ليسقيه من غير ان تراه الأم ولم يكن من خطر قط في المحل الذي نزل منه فلما صعد به حدثها بنزولهما فرأيتها قد اصفر وجهها كأنها تتوقع نزول مكروه ثم لامته لوما شديدا ، هذا وهي ترى أنهما قد خرجا سالمين وتعلم ان الاب ليس اقل منها حذرا من سوء يصيب الولد ولكن شدة الحب قرن معها سوء الظن بالعواقب وان كانت سليمة

على هذا المثال نفهم سر حذر اولئك الافاضل من التعريب اي ادخال كلمات في اللغة ليست منها فانهم على معرفتهم بان مثل ذلك وقع في هذه اللغة نفسها فلم يضرها يحذرون ان يضرها اذا وقع بعد الآن!

اني لا احب ان اخوض في هذا المبحث على طريقة الجدل والمناظرة فان

بجيز التعريب في غنى عنه ومانعه قد ذكرنا عذره في خوفه منه وسواء أرغبنا عن التعريب ام رغبنا فيه مامنه في الحقيقة من محيص . والكنني قد بدت على غير طريقة الجدل والمناظرة لمانع التعريب أنه لاخوف من دخول كلمات اجنبية هي قليلة معها كثرت على لغة حية يتكلم بها نحو خمسين مليونا متجاورين في المساكن لا يفصل بينهم من الماء الا ترعة السويس . ومنهم نحو ثمانية ملايين هم اهلها العريقون القاطنون في وطنهم الاصلي وهي لغة علوم وتاريخ ودين وقد كتب فيها من الصحف الملايين .

لا خوف على لغة خضع أهلها لحكم الديلم والترك قرونا متطاولة من بعد ما خضعوا لحكم اهلها مثل ذلك فلم يدخل فيها من لغاتهم لا نزر لا يعد قد ضاع وفني فيها وهضم في احشائها

أنما يخاف على اللغة اذا خلت من مزاياها المعنوية ، اذا خرجت من العلم ، اذا خلت من الاهل ، اذا قيدت في كتبها ، اذا حرمت في المجتمعات كلها كل حظ من حظوظ الترقي الاخرى

لو خيف على لغة من دخول التعريب فيها لكانت تركية الدولة العثمانية احق اللغات ان يخاف عليها لان نصف كلها دخيل من العربي وربعها دخيل من الفارسي والربع الباقي تركي واكثره أدوات ومشتقات ولكن لاخوف على لغة ما من مثل هذا اذا سلمت اساليب التركيب وضاع اصل الدخيل فيها عند الكاتبين والمتكلمين حتى صار كأنه من اصل اللغة . واذا لم يخش على لغة هذا مقدار الدخيل فيها بالنسبة للاصيل بل لا يكاد يوجد الا اذا ترجمت اليها علوم اولئك القوم أصحاب اللغات الاخرى . ولي ضير على من يريد تعلم علم اذا سمع فيه كلمات غريبة لم يألفها اليوم وسيألفها غداً اليست اصطلاحات علم النحو والصرف غريبة عند من لم يعرفها مع انها عربية

قد قلت اني لا احب ان افيض في هذا المبحث لهذا اكتفيت بما قدمت والخلاصة انه لا يضر العربية التعريب ولا ينفعها الاعراب وانما نفعها وضرروها على حسب همم رجالها فهم حياتها ان يرقظ الزمان هممهم من سباتها

باب المراسلة والمناظرة

« رأي الشيخ احمد المتوفي في الاصلاح ورجاله »

كتب الينا في (١١ ذي الحجة) ما يأتي من الشيخ أحمد موسى المتوفي امام المسجد الكبير في كالكته الذي كان طعن فينا برسالة نشرت في جريدة اللواء ثم كتب الينا ذلك الانتقاد والتعريض الذي نشرناه في الجزء الثالث (ص ٢٣٦) على ما فيه من دلائل سوء الظن بنا . وبعد ان قرأ كثيرا من اجزاء المنار وكتاب محاورات المصلح والمقلد وكتاب شبهات النصارى وحجج الاسلام رجع عما كان يظن فدل ذلك على اخلاصه وحسن نيته في ذمنا من قبل ومدحنا من بعد غفر الله له وأحسن مثوبته قال :

سيدي المرشد السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار

اقدم لسيادتكم تحية طيبة مباركة وارجوكم نشر ما يأتي ولكم الفضل

بما ان الانسان بطبيعته مجبول على حب وطنه وان بعدت الديار وشط المزار ولا يخفى أن ما ينشأ عن تلك المحبة الطبيعية من السعي وراء مصلحة الوطن يكون بحسب المحبة قوة وضعفا ولقد مكثت محبتي للوطن زمنا طويلا كامنة في الفؤاد لا يظهر على أدنى أثر من آثارها وبعبارة أوضح ضعيفة جداً وإذا بحثنا عن سبب ضعفها لم نجد شيئاً سوى اليأس من المصلحة والاصلاح مع الغفلة عن النهضة الاسلامية والحركة الوطنية التي قام بها أخيرا الامامان الحكيمان الاستاذ السيد جمال الدين الافغاني والاستاذ المفتي الشيخ محمد عبده قدس الله أرواحهما وحشرنا في زمرتهما وجزاهما عن الاسلام والمسلمين خيراً فقد بثا في الأمة روح الحياة والشعور والغيرة وأيقظاها من الغفلة فهما أساس النهضة وكل من جاء بعدهما لا يخرج عن كونه متمماً لعملهما مهما بلغت درجته في الاصلاح والأخذ بيد الناهضين وزد على هذا وذاك أني كنت ابعد الناس عن مطالعة الجرائد واشدهم كراهة لمن يطالعها لزعمي

أنها خالية عن النفع أو تشتمل على بعض منافع لا تقابل ما فيها من الضرر وقد علمتم عوائد الازهريين القدين مكثت بين ظهرانيهم بضع سنين في الايام التي كانوا لا يسمعون فيها باسم الاصلاح فهذا كله كان سبباً في اقتصاري على محبة الوطن الطبيعية فقط وعدم ابداء شيء مما يلزمها ولكن مع هذا الجمود كنت أميل بطبيعتي أيضاً الى كل من أسمع عنه بأنه مجد في خدمة الوطن الى أن سمعت أخيراً في العام الذي توفي فيه إمام النهضة المصرية بل الاسلامية الاستاذ الحكيم المفتي بأن رجلا من الصحافيين وقف نفسه وماله على السعي وراء مصلحة الوطن والعمل على استقلاله وتخلصه من رق العبودية فما مبلي نحو ذلك الواقف الى ان صار محبة والمحبة حملتني على الاقبال على مطالعة الجرائد والاشتراك في جملة منها فعلمت أني كنت في ضلال مبين لا في الصحف الحرة الخالية عن الاغراض الذاتية من الفوائد التي أقلها الوقوف على أحوال الهيئة الاجتماعية ومعرفة آراء الرجال وغير ذلك ولكن للأسف وجدت سعادة الواقف المفضال يعتقد في نفسه والعياذ بالله الكمال المطلق ... الاسبح ... بحمده ... الوجود لعظمته وان لا يسئل عما يفعل وقد ... ان الصحف ... بذلك الكمال اللائق فعبدناه وخضعنا لأوامره ما استطعنا .... الخ

وأسفاه كنا نظن ان حضرة الاستاذ الخاص في عمله المهتم بصالح أمته السيد محمد رشيد رضا على عكس ما كنا نعتقد في بطل وطنيتنا دولة الواقف ولكن لما بلونا الرجل وجدنا المسئلة معكوسة على خط مستقيم وجدناه حكيما يضع الأشياء في مواضعها لا تأخذه في نصرة الحق لومة لائم مع الروية والتعقل، وجدناه ماهرا بتشخيص الداء ووصف الدواء، وجدناه حليما ذا أناة لا يعجل بالعقوبة على من ظلمه بل يعالج الظالم المعتدي معالجة خبير بكل ما لديه من الوسائل حتى يرجعه عن ظلمه واعتدائه وحينئذ يرشده الى ما في صلاحه في الدنيا والأخرى، وجدناه فيلسوفا في معرفة طرق الاصلاح وما يصلح الوقت واهله وبالجملة لو لم يكن له الا كتابا شبهات النصارى وحجج الاسلام ومحاورات المصلح والمقلد لكفاه شرفاً وفضلاً فهو والحق يقال الذي يصح اطلاق الحكيم عليه الآن ولقد

أصبح فضيلته بعد اطلاعي على كتابه المذكور من أحب الناس الي ولقد اعجب بهما كذلك حضرة السري الوجيه العلامة المؤرخ الأديب محمد بك العمري صاحب معمل السكاير المشهور بعاصمة الهند كلكتة وقال لي مراراً إني لولا عدم سبق معرفة بيني وبين الاستاذ لم يسعني الا ارسال تشكراتي للاستاذ مما ناضل به عن الدين ورد كيد اعدائه في نحورهم ، هذا واقسم عليكم بشرف الحق وفضيلة العلم وعز الصدق لاما نشرتم هذا تحت مسئوليتنا والله الموفق   احمد موسى

« المنار » قد نشرنا رسالته وبرزنا قسمه الا اننا حذفنا منها تلك السطور التي يبين فيها اعتقاده الاخير في ذلك الصحافي فعسى ان يعذرنا في ذلك ونسأل الله الذي لم يحقق سوء ظنه فينا من قبل أن يجعلنا أهلا لحسن ظنه من بعد من غير غرور ولا فتنة

وكتب الينا كتابا آخر في ١٨ ذي الحجة قال فيه :

حضرة الاستاذ المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام وبعد فاني لا استطيع ان أعبر عما حصل من السرور بوصول كتب الاسلام والنصرانية وشبهات النصارى وحجج الاسلام وتاريخ الاستاذ الامام المفتي عليه رضوان الله ولعمر الحق لقد صغر في عيني مالدي من الكتب القديمة التي لا يخفى على فضيلتكم ما فيها من الحجب المانعة من العلم النافع فوا أسفاه قد ضاع العمر سدى غير اني احمد الله الذي منّ عليّ بارشاد حكيم الاسلام واكبر خلفائه لانك سيدي معذور فيما تبديه من الآراء المفيدة المناقضة لما عليه الناس من الجمود والنفس الخبيثة تكره من يحاول ردها عن ما اعتادت عليه ولو كانت عادتها عبادة الاوثان نعوذ بالله من الخذلان والتمادي في الغي أقول قولي هذا وما أبرئ نفسي فاني والحق يقال كنت كثيرا ما اتهمكم بسوء القصد أما الآن فانا فالحمد لله أول موافق على ترك التقليد والجمود على الخرافات التي ما انزل الله بها من سلطان والفضل في ذلك لسيادتكم ومطالعة كلام الامام الحكيم بامعان وانصاف وفقنا الله واياكم لما يحبه ويرضاه

آثار علمية أدبية

(قاموس الامكنة والبقاع)

كتاب (فتوح البلدان) للبلاذري من أجل مختصرات التاريخ القديمة لامثلة وقد طبعته شركة طبع الكتب العربية منذ سنين . وبعد طبعه عهدت الى علي بهجت بك وكيل دار الآثار العربية أن يضع معجما لما ورد فيه من أسماء الامكنة والبقاع لسعة علمه بالتاريخ القديم والحديث فقام بذلك وطبعت الشركة ما كتبه فكانت صفحاته اكثر من مئتي صفحة وأيدت فائدة هذا الكتاب خاصة عن يقتني كتاب فتوح البلدان ولا هو مما يستغني عنه بالمطولات التي استمد منها كمعجم ياقوت فان فيه اشياء لا توجد في هذا العصر ولا تؤخذ من غيره وهي بيان حال تلك البلاد والبقاع الآن بحسب ما وصل اليه اجتهاد المؤلف فمنها ما خرب وعفا ومنها ما بقي وزاد عمرانه أو نقص فنشكر للمؤلف وللشركة هذا العمل النافع

(رسالة الغفران)

للفيلسوف العربي الشهير ابي العلاء المعري رسالة كتبها الى الشيخ علي ابن منصور الحلبي المعروف بابن القارح جوابا عن رسالة بعث بها اليه والرسالة تروي للقارئ قصة خيالية طاف راويها في العالم الآخر ودخل الجنة ورأى ما فيها من النعيم فوصفه أحسن وصف وتأنق فيها الشعراء والأدباء وشرح ما دار بينهم من المحاورات والمناشدات . وأسلوب الرسالة هو أسلوب الأمالي الأدبية التي كان علماء الفنون العربية يملونها على الطلاب في القرون الأولى وفيها من فرائد اللغة وغرائب الشجون ما طار بشهرتها في عالم الادب فكانت طلبة الأدباء ورغيبة البلغاء وقد طبعها امين افندي هندية طبعاً متقناً مضبوطا بالشكل بعد ان صحح

أصلها معارضة على نسخة صحيحة ووقف على طبع أكثر من نصفها الشيخ ابراهيم اليازجي وخلفه بعد وفاته في تصحيح باقيها احد علماء الأزهر . فنحث الأدباء على مطالعتها وهي تطلب من مكتبة هندية وثمنها عشرة قروش

(كتاب الاضداد في اللغة)

لما عني الأولون بنقل اللغة العربية وضبطها ووضع الفنون لها أكثروا من التصانيف في فروع كثيرة من فروعها كالمترادف والمشترك والأضداد وغيرذلك ومن الكتب النافعة في الاضداد كتاب محمد بن القاسم بن بشار الانباري النحوي ومن مزاياه انه تتبع قطرب فيما ذكره من الاضداد وبين غلطه في بعضها وقد اجاب في أوله من عاب التضاد في اللغة فقال

« هذا كتاب ذكر الحروف التي توقعها العرب على المعاني المتضادة فيكون الحرف منها مؤديا عن معنيين مختلفين ويظن أهل البدع والزيغ والازراء بالعرب ان ذلك كان منهم لنقصان حكمتهم وقلة بلاغتهم وكثرة الالتباس في محاوراتهم عند اتصال مخاطباتهم فيسألون عن ذلك ويحتجون بأن الاسم منبيء عن المعنى الذي تحته ودال عليه وموضح تأويله فاذا اعتور اللفظة الواحدة معنيان مختلفان لم يعرف المخاطب أيهما اراد المخاطب وبطل بذلك تعليق الاسم على المسمى : فأجيبوا عن هذا الذي ظنوه وسألوا عنه بضروب من الاجوبة أحدهن ان كلام العرب يصحح بعضه بعضاً ويرتبط أوله بآخره ولا يعرف معنى الخطاب منه الا باستيفائه واستكمال جميع حروفه فجاز وقوع اللفظة على أحد المعنيين دون الآخر والايراد بها في حال التكلم والاخبار الا معنى واحد . فمن ذلك قول الشاعر

كل شيء ماخلا الموت جلل والفتى يسعى ويلهيه الامل

فدل ماتقدم قبل « جلل » وتأخر بعده على ان معناه « كل شيء ماخلا الموت يسير » ولا يتوهم ذو عقل وتمييز ان الجلل هنا معناه «عظيم» وقال الآخر

ياخول ياخول لا يطمح بك الامل فقد يكذب ظن الآمل الاجل
ياخول كيف يذوق الخفض معترف بالموت والموت فيما بعده جلل

فدل مامضى من الكلام على ان جللا معناه يسير · وقال آخر

فلئن عفوت لأعفون جللا ولئن سطوت لأوهنن عظمي
قومي هم قتلوا أميم اخي فاذا رميت يصيبني سهمي

فدل الكلام على انه أراد فلئن عفوت عفوا عظيما لأن الانسان لا يفخر بصفحه عن ذنب حقير يسير . فلما كان اللبس في هذين زائلا عن جميع السامعين لم ينكر وقوع الكلمة على معنيين مختلفين في كلامين مختلفي اللفظين · وقال الله عز وجل وهو أصدق قيل « الذين يظنون انهم ملاقو الله » أراد الذين يتيقنون ذلك فلم يذهب وهم « قل الى ان الله عز وجل يمدح قوما بالشك في لقائه · وقال في موضع آخر « اني لاظنك يافرعون مسحورا » وقال تعالى حاكيا عن يونس « وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه » أراد رجا ذلك وطمع فيه ولا يقول مسلم ان يونس تيقن ان الله لا يقدر عليه اه

(المنار) يحكم قارئ هذه العبارة ان الكتاب مفيد بأسلوبه البليغ كأنه مفيد بمباحثه · واكبر فائدته عندي انه يجمع بحكم الحروف (أي الكلمات) التي قيل أنها متضادة المعاني لله يسهل المدقق سبيل التفكر في هذا النوع من اللغة بغير ما حكم به جمهور من سبقه فان استعمال الكلمة في معنيين متضادين خلاف المعقول ويلوح لي ان اكثر ما عدوه من الاضداد يمكن تفسيره بما لا تضاد فيه وان القليل الذي يتعذر او يتعسر فهمه من غير تضاد في معانيه لا بد ان يكون مما استعملته قبيلة في معنى وقبيلة أخرى في ضد ذلك المعنى أو مما وقع فيه الخطأ في الاستعمال من العرب أنفسها فان خطأها في المعاني مما لا ينكر .

واذا كان العربي القح يخطئ في المعاني فالمولد أجدر بذلك . ومن خطأ نقلة اللغة والمفسرين ما قاله بعضهم في تفسير الظن في الآيات التي تلوت فيما نقلناه عن هذا الكتاب فقوله تعالى « ٢٤٩:٢ قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله » ليس مسوقا لمدحهم على ظنهم حتى يقال انه يمتنع مدحهم بالظن · وما حكاه عن ظن فرعون لا يظهر فيه ارادة اليقين وقوله عز وجل في يونس « ٨٧:٢١ فظن ان لن نقدر عليه» يظهر فيه معنى الظن جليا «ونقدر» هنا بمعنى نضيق على حد « ٣٩ : ٥٢ يبسط الرزق

لمن يشاء ويقدر » فما المانع من ان يظن يونس ان الله تعالى لا يضيق عليه؟
والكتاب يطلب من المكتبة الازهرية للشيخ محمد سعيد الرافعي وثمنه ٧ قروش

﴿ انجيل برنابا ﴾

قد تم طبع الانجيل في مطبعة المنار وقد نقلنا منه نموذجات للقراء من قبل ونذكر هنا منه بعض ما ذكره في مسألة محاولة اليهود قتل سيدنا عيسى وانجاء الله اياه وإلقاء شبهه على يهوذا الاسخريوطي وذلك موافق لما يعتقده المسلمون في الجملة قال

الفصل الخامس عشر بعد المئتين

١ ولما دنت الجنود مع يهوذا من المحل الذي كان فيه يسوع سمع
يسوع دنو جم غفير ٢ فلذلك انسحب الى البيت خائفاً ٣ وكان الاحد
عشر نياماً ٤ فلما رأى الله الخطر على عبده أمر جبريل وميخائيل ورفائيل
وأوريل سفراءه أن يأخذوا يسوع من العالم
٥ فجاء الملائكة الاطهار وأخذوا يسوع من النافذة المشرفة على
الجنوب ٦ فحملوه ووضعوه في السماء الثالثة في صحبة الملائكة التي تسبح
الله الى الابد

الفصل السادس عشر بعد المئتين

١ ودخل يهوذا بعنف الى الغرفة التي أُصعد منها يسوع ٢ وكان
التلاميذ كلهم نياماً ٣ فأتى الله العجيب بأمر عجيب ٤ فتغير يهوذا في النطق
وفي الوجه فصار شبيها بيسوع حتى اننا اعتقدنا انه يسوع ٥ اما هو فبعد
ان أيقظنا أخذ يفتش لينظر أين كان المعلم ٦ لذلك تعجبنا وأجبنا : « أنت
يا سيد هو معلمنا ٧ أنسيتنا الآن؟ »

٨ اما هو فقال متبسما: «هل انتم أغبياء حتى لا تعرفون يهوذا الاسخريوطي» ٩ وبينما كان يقول هذا دخلت الجنود والقوا أيديهم على يهوذا لانه كان شبيها بيسوع من كل وجه

١٠ اما نحن فلما سمعنا قول يهوذا ورأينا جمهور الجنود هربنا كالمجانين

١١ ويوحنا الذي كان ملتفا بلحفة من الكتان استيقظ وهرب ١٢ ولما امسكه جندي بلحفة الكتان ترك ملحفة الكتان وهرب عريانا[١]

١٣ لان الله سمع دعاء يسوع وخلص الاحد عشر من الشر[٢]

الفصل السابع عشر بعد المئتين

١ فأخذ الجنود يهوذا واوثقوه[٣] ساخرين منه ٢ لانه انكر وهو صادق انه هو يسوع ٣ فقال الجنود مستهزئين به: ٤ يا سيدي لا تخف لانا قد اتينا لنجعلك ملكا على اسرائيل ٤ وانما أوثقناك لانا نعلم انك ترفض المملكة» ٥ اجاب يهوذا: «لعلكم جننتم ٦ انكم اتيتم بسلاح ومصابيح لتأخذوا يسوع الناصري كانه لص افتوثقوني انا الذي ارشدتكم لتجعلوني ملكا!»

(ثم قال في أواخر الفصل)

٧٧ وحكموا بالصلب على لصين معه ٧٨ فقادوه الى جبل الجمجمة حيث اعتادوا شنق المجرمين وهناك صلبوه عريانا مبالغة في تحقيره

(١) مر ١٤: ٥١ (٢) يو ١٨: ٩ (٣) يو ٨، ١٢:٤ و ١٩:٤١-٤

٧٩ ولم يفعل يهوذا شيئاً سوى الصراخ : « يا الله لماذا تركتني [1] فان المجرم قد نجا اما انا فأموت ظلماً »

٨٠ الحق اقول ان صوت يهوذا ووجهه وشخصه بلغت من الشبه بيسوع ان اعتقد تلاميذه والمؤمنون به كافة انه هو يسوع ٨١ لذلك خرج بعضهم من تعليم يسوع معتقدين ان يسوع كان نبياً كاذباً وانه انما فعل الآيات التي فعلها بصناعة السحر ٨٢ لان يسوع قال انه لا يموت الى وشك انقضاء العالم ٨٣ لانه سيؤخذ في ذلك الوقت من العالم اه المراد منه

وثمن النسخة ذات الورق المتوسط من هذا الانجيل ١٥ قرشاً وذات الورق الجيد ٢٠ قرشاً واجرة البريد قرش واحد ولمقدمته ثمنها عشرة قروش

المصحف الشريف

قد اشتهرت طبعة مطبعة الرحمانية للمصحف الشريف هنا وكثر الاقبال عليها لجمال حروفها وصحتها . وقد ارسلنا منها نسخاً الى بعض الاقطار من القطع الوسط والقطع الصغير . فمن احب ان نرسل اليه شيئاً منها فليرسل لكل نسخة من القطع الوسط فرنكين ومن القطع الصغير فرنكاً ونصفاً

جامع الثناء على الله

جمع الشيخ يوسف النبهاني كثيراً من الادعية والاذكار المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم ومن شيوخ الصوفية وسماها « جامع الثناء على الله » ومازال الذكر والدعاء غذاء الايمان ومن رأينا انه ينبغي المؤمن ان يهتم قبل كل شيء باداء الفرائض والحقوق التي عليه لله ولنفسه واهله وذي القربى فاذا وجد وقتاً لنوافل العبادة فليبدأ بتلاوة القرآن مع التدبر سواء كان ذلك في الصلاة او خارج الصلاة فان خاف

(١) مت ٢٧ : ٤٦ ومر ١٥ : ٣٤

على نفسه الملل انتقل الى الاذكار المأثورة عن الشارع فان وجد من الوقت مايسع المزيد عليها فليقرأ بعض ما كتبه رجال الصوفية . واما الذين يتركون الفرائض ويصرون على المآثم ويحصرون تعبدهم بقراءة أوراد الطريق فان التصوف بل الدين بريء من اهوائهم

واني كنت في أول النشأة أقرأ بعض أوراد الصوفية ومنها ورد السحر البكري وكان يكون لذلك تأثير عظيم في نفسي ثم وجدتني بذلك جانيا على القرآن عليّ ومشتغلا عنه بكلام لا يخلو عندي من الغلو الذي نهت الآيات عنه وناهيك بما في القصيدتين الجيمية والميمية من ذلك . ولما صرت أفهم مراد الصوفية بمثل قوله « ومل نحو الحان ايها السرج » واشرب واطرب » الخ لم أزدد الابتعاد عن عبادة الله في السحر بهذا الشعر الركيك . على ان هذا الكتاب امثل من أكثر كتب النبهاني وثمنه أربعة قروش ويطلب من اكثر المكاتب المصرية

الراوي

« مجلة روائية ادبية تاريخية اسبوعية » يصدرها في الاسكندرية طانيوس افندي عبده الكاتب المعروف في عالم الصحافة والأدب فهو لما أوتيه من حسن الذوق في اختيار القصص الافرنجية وحسن الترجمة جدير بالنجاح في عمله هذا غني عن تقريظه وقيمة الاشتراك في مجلة الراوي مئة قرش في السنة لاهل مصر والسودان وثلاثون فرنكا لغيرهم وثمن العدد الواحد ثلاثة قروش

﴿ السياسة المصورة ﴾

جريدة أسبوعية سياسية مصورة بالألوان يصدرها في القاهرة عبد الحميد افندي زكي وصور هذه الجريدة كلها في السياسة المصرية وهي مطبوعة طبعا متقنا في أوربا ويكتب فصولها الافتتاحية حافظ افندي ابراهيم غالبا وقيمة الاشتراك السنوي فيها ٥٠ قرشا بمصر و ١٠ فرنكا في سائر البلاد

باب الاخبار والآراء

﴿ نادي دار العلوم الخديوية ﴾

اتخذ المتخرجون في مدرسة دار العلوم المعروفة الآن (بمدرسة المعلمين الناصرية) ناديا علميا ادبيا يتعارفون فيه ويتعاونون على ترقية شؤونهم الاجتماعية ويبحثون عن أقوم الطرق واقربها لتعليم العربية وفنونها وتدريس آدابها واحياء العلوم بها على النحو الآتي كما في المادة الثانية من قانون النادي

(١) التنقيب عن الكتب النافعة والسعي في نشرها (٢) تنقيح وتصحيح ما تدعو اليه الحاجة من الكتب المفيدة (٣) تأليف كتب سهلة فيما لم يدون فيه مؤلفات قريبة التناول (٤) وضع اسماء عربية للمسميات الحديثة التي ليس لها أسماء عربية معروفة (٥) البحث في ألفاظ العامة ورد ماله أصل عربي منها الى أصله والتنبيه على الدخيل فيها (٦) الاصطلاح على طريقة لكتابة الالفاظ الأعجمية بحروف عربية (٧) التمثيل فرع ومنم الخطابة وفنها (٨) تأليف رسائل في الآداب والاخلاق (٩) محاضرات علمية وادبية »

وقد عرف القراء من الجزء الماضي ومن هذا الجزء ان النادي بدأ عمله بالبحث في مسألة أسماء الاجناس ومصطلحات العلوم الاعجمية . وانا لنرجو من رجال هذا النادي العاملين ما لا نرجو من غيرهم فانهم أمة وسط في الشعب المصري الذي جمد بعض المتعلمين فيه على التقاليد العتيقة حتى في كيفية التعليم وأولع بعضهم بالتقاليد الحديثة حتى ما كان منها مقطعاً لروابط الامة الاجتماعية . ولست أعني بهذا تفضيل كل واحد منهم على كل واحد من غيرهم وإنما أعني أنهم بتربيتهم وتعليمهم وسط بين طرفين يوجد في كل منهما أفراد أقرب الى الاعتدال وابعد عن الجمود والتفرنج من كثير ممن هم في الوسط . ولكن طالب الاصلاح والترقي يعد في مجموع الازهريين غريباً كما أن من ينكر شرب الخمر او ترك الصلاة من المتعلمين في سائر المدارس يعد في مجموعهم غريباً وان كان الكثيرون منهم يصلون ولا يسكرون

ترجمة فقيد الاصلاح

﴿ ذكاء الملك ﴾

كل ما كنا نعرفه عن ذكاء الملك صاحب جريدة « تربيت » هو أنه كاتب اصلاحي بليغ غير موثق الفكر بالتقاليد وانه قد جمع الى استقلال الفكر استقلال الارادة وقوة العزيمة فقد كان يكتب ما يعتقدون خالف أهواء الشعب . وما الكتاب الذين جمعوا هذه الصفات بكثيرين فينا فنقول مات ذكاء الملك فتخلفه فلان وفلان . كلا بل نتمثل بقول الشريف فيمن هو في عصره دون ذكاء الملك في عصره

ويقول من لم يدر كنهك انهم فقدوا به عددا من الاعداد
هيهات أدرج بين [illegible] رجل الرجال وواحد الآحاد

كان ذكاء الملك لعنايته بالاصلاح يتتبع أخباره في جميع بلاد الاسلام ويعرف رجاله في جميع الاقطار فعرف السيد جمال الدين الافغاني وكان صديقاً له وعشقه المنار بالاستاذ الامام فكان بينهما موادة ومكاتبة وابنه احسن تأبين في جريدته وقد ترجمنا تأبينه ونشرناه في تاريخ الاستاذ الامام . وكان ينقل عن المنار كثيرا . وآخر ما عرفناه من ذلك نقله لما كتبناه في حكومة الشورى في بلاد فارس وقوله ان قول صاحب المنار لعظم تأثيرا في العالم الاسلامي من قول مئة مجتهد من علماء الشيعة أو ما هذا معناه

وانما مصاب الشعب الفارسي بل الامة الاسلامية بوفاته وتمنينا لو وقفنا على ترجمة حياته بالتفصيل وما زلنا واقفين في موقف التمني حتى من علينا ميرزا محمد القزويني العضو بدار الترجمة الهمايونية في طهران بنسخة من جريدة (الصور) الفارسية مع كتاب عربي منه أرسله الينا من باريس يرغب الينا فيه بما نحن أشد فيه رغبة وهو ترجمة الفقيد لانه من الحقوق التي تطالبنا بها خدمة طلب الاصلاح وتقريب طوائف

المسلمين بعضهم من بعض، وكان ذكاء الملك طيب الله ثراه وجزاه أفضل الجزاء من خير الاعوان على هذا الاصلاح . وانا ننشر كتاب هذا الفاضل الغيور والصديق الوفي للفقيد مع الشكر له ثم ننشر بعده ترجمة ما كتب في جريدة الصور . وهذا نص الكتاب الذي أرسله الينا من باريس :

غرة ژانويه (يناير) سنة ١٩٠٨ و ٢٢ ذي القعدة سنة ١٣٢٥

حضرة السيد الفضال العلامة منشيء جريدة المنار الأغر أدام الله ظلكم العالي

بعد إهداء كمال السلام وأسنى التحيات أظنكم تعرفون الكاتب الشاعر الشهير ذكاء الملك صاحب جريدة « تربيت » الفارسية المنطبعة بطهران ومنشئها منذ إحدى عشرة سنة . فقد كان بينه وبين الاستاذ الامام المرحوم الشيخ محمد عبده علائق ودّية ومكاتبات متواصلة وكان الاستاذ الامام يقرأ جريدة تربيت ويعدها أعظم الجرائد الفارسية نفوذا في الحواضر الحالية وأشدها تأثيرا في قلوب المسلمين الذين يتكلمون بالفارسية ورأيت أنا بنفسي تآليف الاستاذ الامام التي كان أرسلها جميعها هدية الى ذكاء الملك بطهران مع كتاب ودّي بخط يده يظهر فيه غاية الاعجاب ويتشكر فيه ذكاء الملك عما كتبه في جريدته تربيت من خدمات الاستاذ الامام للعالم الاسلامي أجمع ومن جملة عباراته :

« ان الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده هو العالم الحقيقي الوحيد في كافة الأنحاء الاسلامية من مراكش الى الصين ومن تركستان الى اليمن والسودان الذي يعلم الغرض الأصلي من الاسلام ويعرف تطبيق قواعده على مقتضيات العصر ولاجل تربية امثال هذا الرجل بعث نبينا صلى الله عليه وسلم فان نبغ بين علماء الاسلام كثيرون امثاله فان الاسلام يبقى ثابت الاركان والمسلمين يرتقون الى أعلى مدارج المدنية والسعادة والا فلو استمرّ علماء الاسلام بالجمود على ظواهر الاحاديث ونصوص فتاوى المتقدمين كما هم عليه الآن فعلى الاسلام السلام الخ »

وبعد وفاة الاستاذ الامام كتب ذكاء الملك ترجمة حياته في جريدة تربيت

بغاية التفصيل والاشباع ونهاية التوقير والتمجيد ثم بعد ذلك كتب ترجمة حاله ثانيًا مترجمة عن المنار الاغر أطول وأبسط من الأولى وكان غالبًا يترجم مقالات المنار الاغر في جريدته

والغرض من هذا الاطناب تذكار حضرتكم إن كنتم تعرفون ذكاء الملك وتعريفكم اياه ان لم تكونوا تعرفونه . وها هو ذكاء الملك توفي أيضًا في شهر رمضان الماضي ومضى الى جانب أستاذيه السيد جمال الدين الافغاني والاستاذ الامام الشيخ محمد عبده أفاض الله عليهم جميعًا شآبيب الغفران . وبما أني كنت من تلامذة الفقيد ومن خواص أصدقائه كتب إلي من طهران نجله جناب ميرزا محمد علي خان الملقب بلقب أبيه ذكاء الملك وطلب مني أن أكتب الى حضرتكم واستدعي منكم أن تكتبوا (ان استصوبتم ذلك) بضع أسطر في المنار الاغر في الاعلام بوفاة رجل مسلم من أعظم كتاب الفارسية وشعرائها في هذا القرن الاخير ونبذ يسير في ترجمة حاله . والآن اليكم فانظروا ماذا تأمرون . وكان المأسوف عليه من أخلص الاصدقاء للمرحوم السيد جمال الدين الافغاني ومن أعظم رجال الاصلاح ومن أكبر أركان النهضة السياسية الأخيرة في بلاد ايران فقد كان قلمه يخلب الالباب ويسحر العقول بما آتاه الله من النفوذ والتأثير وأصابته صدمات شديدة من أول شبيبته الى آخر وفاته بسبب شدة حرصه على الاصلاح وكتابته المقالات الغراء في حث الحكومة على ادخال النظامات العصرية في ادارات الدولة وتحريض العلماء على نفض الايدي من التقاليد الجامدة والتعاليم القديمة والمباحث المنطقية الضيقة والتأسي بأمثال السيد جمال الدين الافغاني والاستاذ الامام الشيخ محمد عبده وحضرة العلامة السيد محمد رشيد رضا منشئ المنار الأغر وأمثالهم . وأرسلت طية جريدة من جرائد طهران الاسلامية تتضمن ترجمة حياة الفقيد وفي الختام اقبلوا ياحضرة العلامة فائق احترامي وخالص سلامي

ميرزا محمد قزويني

المقيم بدار الترجمة الهمايوني بطهران

فاجعة ادبية

قد توفي الى رحمة ربه فيلسوف إيران واديبها الشهير ذكاء الملك طاب ثراه عصر يوم السبت ١١ رمضان فكان موته ثلمة في بناء العلم والأدب وهيهات ان يفتخر الايرانيون في وقت قريب بمثله

اشتغل المرحوم سبعين سنة بخدمة الوطن خدمة خالصة وإحياء موات أدبيات اللغة الفارسية بحرارة الشبيبة وتجارب الشيخوخة واذا كان الايرانيون بجهل جاهليهم وعدم مساعدة حكومتهم المستبدة لم يعرفوا قيمته ولم يوفوه حقه من الاجلال كما كان حظ أمثاله من العظماء فانهم قد أبقوا ذلك تراثا لخلفهم الذين يرجى ان يقدروا أمثاله قدرهم . ولكن الافرنج قد قدروه قدره في حياته بالتنويه بفضله والتعريف به لقومهم حتى ان الفرنسيين لقبوا هذا الرجل بفيكتور هوغو الشرق .

ونحن في هذه [illegible] ترجمة هذا الفيلسوف المعظم وان امهل الزمان نقوم بما يجب علينا لهذا الرجل الكامل المعظم

(مختصر ترجمة المرحوم طاب ثراه)

هو المرحوم ميرزا محمد حسين خان المتخلص بفروغي (١) الملقب بذكاء الملك . ولد في منتصف ربيع الثاني سنة ١٢٥٥ بمدينة أصفهان وتوفي يوم السبت ١١ رمضان سنة ١٣٢٥ بطهران فيكون عمره سبعين سنة و٥ أشهر ووالده هو المرحوم الآقا محمد مهدي المعروف بأرباب من مشاهير أصفهان وكان على اشتغاله بالتجارة على حظ عظيم من العلم والفضل لا سيما علوم التاريخ والجغرافية والهيئة فان له فيها تصانيف عديدة . وقد سافر الى الهند واقام فيها طويلا وعاشر فضلاء الانكليز واخذ حظاً عظيماً من العلوم الحديثة والسياسة ولما رجع الى أصفهان قبل خمسين سنة أراد ان يظهر معارفه ولكن الأذهان في ذلك الزمن لم تكن مستعدة

(١) فروغي معناه الضوء وهذا هو لقبه الادبي الشعري الذي اختاره لنفسه ويعرف عندهم بالمخلص بوزن جعفر ويشتقون منه كما رأيت

لقبول هذه النفائس الثمينة فأكب على تحسين حال الزراعة والتجارة في أصفهان وكان يمكنه ان يفيد بلاده بأكثر مما أفادها ولكن عموم الجهل يومئذ حال دون ذلك

أما فقيدنا ذكاء الملك فانه بعد ان حصل علوم العربية وأدبياتها ومبادي سائر العلوم سافر من أصفهان الى العراق العربي لاجل تكميل تلك المبادي فمكث هناك طائفة من الزمان ثم عاد الى أصفهان وكان والده قد عاد من الهند فكانت نتيجة تآلف الاب والابن بما كان أتقنه كل منهما ظهور نهضة جديدة في العلم والسياسة فكان ما تولد في دماغه يومئذ من قوة النهضة العلمية هو ما نراه الآن في أدمغة شباننا . فأخذ يتتبع بشغف عظيم دواوين الشعراء وكتبهم الأدبية ليشحذ بها غرار استعداده الفطري للشعر حتى كان شعره في الخامسة والعشرين مساويا لشعر أساتذة هذا الفن

وسافر قبيرة الاول الى شيراز وطن الشيخ السعدي فنشبت عامئذ حرب أمريكا الشهيرة وقل ورود القطن الى معامل أوربا فانتهز الفقيد هذه الفرصة فاشترى بجميع ما يملكه قطنا وسافر به الى الهند ولكن صادفته الانواء الشديدة في البحر فاضطر الى إلقاء بضاعته كلها في البحر فخسرها وعاد الى شيراز بخفي حنين . ثم سافر سائحاً الى كرمان ويزد والعراق العجمي وكرمان شاه وهمدان والعراق العربي وغيرها من الاقطار فلبث في سياحته هذه أربع عشرة سنة وكان في كل مكان موضع الحفاوة والاكرام من العظماء والأمراء مثل محمد حسين خان وكيل الملك وإمام قلي ميرزا عماد الدولة وأولاده وسائر أهل الكمال والذوق

ثم مل السياحة واتخذ طهران مقاماً له فصحبه المرحوم محمد حسن خان اعتماد السلطنة (١) وجعله مساعدا له في الترجمة وتحرير الجريدة الرسمية ولما كانت الجريدة الرسمية قليلة الفائدة حث صاحب الترجمة على إنشاء جريدة (اطلاع) الباقية الى الآن (٢) . وكان يساعده في تحرير النشرات والرسائل والكتب

(١) هو وزير المطبوعات ورئيس دار الترجمة الخاصة الهمايونية يومئذ وكان من العلماء العصريين وله تصانيف شهيرة منها (مرآة البلدان) عدة مجلدات

(٢) جريدة شبه رسمية تصدر بنفقة الحكومة

العلمية . وغني ان استبداد السلطة كان يهيئ مواد التأليف من الكتب وغيرها وصاحب الترجمة هو الذي يكتبها بقلمه . وكنت تراه دائماً متململا متألما لبلاء ابناء وطنه بالمستبدين وكان يفكر دائماً في الاصلاح لا يبرح ذلك من مخيلته قط

ومن الشواهد على ذلك أنه من نحو عشرين سنة كانت دبت عقارب السعاية فيه الى الشاه ناصر الدين بسبب ظهور بوادر هذه الافكار الاصلاحية فأتعبوه طائفة من الزمن (أي حبسوه مدة مديدة) الى ان تولى المرحوم الشاه مظفر الدين فافرج عنه . ولما استنشق نسيم الحرية أنشأ جريدة (تربيت) وهي كما لا يخفى اول جريدة حرة أسست في عاصمة ايران

ومن خدمة هذه الجريدة انها ولدت في نفوس الايرانيين الرغبة في قراءة الجرائد وكانوا الى ذلك العهد ينفرون منها لركاكة عبارتها . وذلك بما يجذبهم به من انسجام عبارته وبلاغة اسلوبه . ومنها انه كان في زمن الاستبداد ينشر فيها جميع الافكار الحرة بأسلوب لا يؤاخذه عليه القانون . وفي الجملة انه قضى عشر سنين في نشر جريدته كان فيها عرضة لانتقاد الاعداء والحاسدين

وفي العام الماضي أصابه مرض شديد طال عليه وقد شفي منه الا ان صحته لم تعد كما كانت قبله . ولما كان هو الذي يتولى تحرير الجريدة وإنشاءها اضطر في آخر السنة الى إبطالها

ومن خدمته أيضاً اشتغاله بالتدريس والتعليم في مدرسة العلوم السياسية سبع سنين وثلاث سنين أخرى في ادارتها . ولو جمعت دروسه في تلك المدرسة من المسائل الادبية والمعاني والبيان والبديع ومختارات الشعر وغير ذلك لكان مؤلفاً كبيراً

وكان للفقيد مؤلفات كثيرة طبع منها (١) تاريخ ساسانيان و (٢) ترجمة كتاب السياحة حول الارض في ثمانين يوماً و (٣) كلبة هندي و (٤) اشق وعفت و (٥) ريحانة الافكار و (٦) قصة جورج الانكليز . وله كتب أخرى مترجمة من اللغات الاجنبية . وله شعر كثير ولكن اكثره مفقود والباقي منه يدخل في ديوان كامل

خاتمة المجلد العاشر

قد تم المجلد العاشر بحمد الله وحسن توفيقه وبه قطع المنار مرحلة الاعداد المفردة، واشرف على مرتبة الاعداد المركبة، فازداد منشئه بصيرة فيما يدعو اليه، ودرجة استعداد المسلمين له، وانقشع من امامه كثير من السحب وهتكت من دونه كثائف من الحجب التي كانت تلبس عليه القياس، فيما يحكم به على الناس، فرأى من احوال البشر ما يعد من آيات العبر، وبهذا الاعتبار صدق على المنار ما قلناه فيه منذ ثلاث سنين، انه قد دخل في سن التمييز،

التقصير في ادارة المنار

وقد عجزنا في هذه السنة عن اصدار المنار في اوقاته واقامة النظام في ادارته لاسباب طبيعية لا مندوحة عنها اهمها اتساع دائرة العمل وتشعبه مع قصر الساعد وعدم المساعد، فمنشئ المنار هو الذي يحرره وهو الذي يصحح نموذجات الطبع وهو الذي يكاتب المشتركين وينظر في محاسبتهم وهو الذي ينظر في ادارة المطبعة وهو الذي يتولى تصريف مطبوعاتها وينظر في تصحيح سائر ما يطبع فيها ثم انه يقرأ لبعض من الطلاب درسا في التفسير ودرسا في الحديث ويشتغل احيانا بشيء من التأليف مع قيامه بمعظم خدمة نفسه لانه يعيش عيشة الوحدة

ومن فروع هذه الشواغل انه أصدر في هذا العام جزئين من تاريخ الاستاذ الامام، واتم طبع جزئين من التفسير لم ينشرهما الى الآن، لانه تمكن من استخراج فهرس لاحدهما ولم يتمكن من استخراج فهرس الآخر. واتم طبع انجيل برنابا. ولو يعمل في هذه الكتب كلها الا تصحيح كل كراسة منها مرتين او ثلاثا لما كان الوقت الذي اغتاله قليلا

ولولا اني في خجل من الاصدقاء والمحبين لي في التعب بما قصرت في مكاتبتهم لما أشرت الى هذا العذر واكبر خجلي ممن لهم معنا معاملة مالية كطلاب الكتب فقد كان في المكتبة مدير يتولى محاسبتهم وقد تركها من اوائل السنة ولم نوفق الى

من يقوم مقامه ولا الى وكيل لادارة المجلة والمطبعة يكفينا امر هذه الجزئيات وبهذا نعتذر ايضا عن تأخر اتمام تأليف وطبع جزء الترجمة من تاريخ الاستاذ الامام

فتاوى المنار

ومما قصرنا به أيضاً في هذا العام الاجابة عن الاسئلة ومن أسباب ذلك ان أكثر الاسئلة التي وردت علينا في هذا العام كانت في مسائل دنيوية مما يفصل فيه القضاة ويفتي به المفتون الرسميون وأمثالهم من علماء أحكام المعاملات ومنها ماكان مرسله يطلب الجواب عنه من نصوص مذهب معين. والمنار لم يفتح باب الفتوى لأمثال هذه المسائل بل لبيان حكم الدين وأسراره واتفاق عقائده مع العقل وأحكامه مع مصالح البشر ومنافعهم ولرد الشبه الفلسفية والمدنية عنه وما يشكل من الآيات والأحاديث على القارئ. فهذا ما نلتزم الجواب عنه من المسائل الدينية وان يطأنا وأرجأنا تاوت الخيار في غيره. ومن سأل سؤالا من هذا القبيل وطال الزمن على الجواب عنه فليعلم انه [illegible] فليعده الينا ثانية

ومن أسباب توجيه الجواب على بعض الاسئلة [illegible] من خلال كلام آخر فنحتاج الى نسخ السؤال فنرجئه الى وقت الفراغ وقلما نظفر به.

مكاتبات المنار

وههنا ننبه الى سبب من أسباب تأخير كل ما يطلب من المنار وهو خلط المطالب فعسى ان يكتب السائل سؤاله أو أسئلته في ورقة لا يكتب فيها شيئاً آخر ليسهل علينا إرسالها الى المطبعة عاجلا ولا نضيع شيئاً من الوقت في استنساخها. كذلك ينبغي لطالب الكتب أن يكتب ما يطلبه في ورقة مستقلة لا يذكر فيها شيئاً من الاسئلة ولا ما يتعلق بشؤون المنار فان كان هناك حساب مشترك بين ما يطلب للمنار وثمن الكتب واستقل الكتب كتابة ورقتين فلا بأس بأن يفصل بين الحسابين في الورقة الواحدة

حال المشتركين

أما حال المشتركين في هذا العام فقد كان كالأعوام الماضية الآن أهل

القاهرة كانوا أحسن أداء على ما عليه البلاد من العسرة المالية ولكن سائر أهل القطر كانوا أقل وفاء منهم في السنين الماضية والاعتذار بالعسرة كان في هذا العام تكأة أهل المطل في أكثر المعاملات كما علمنا من أوسع اختبارنا . وكذلك أهل تونس كانوا أشد تقصيرا في هذا العام على أنهم لم يقعوا في عسرة كعسرة أهل مصر. على أن مصر في عسرتها أغنى وأقنى وأيسر من تونس وغيرها من بلاد المسلمين زادها الله يسرا ووفقها الشكر عليه باستعماله فيما يزيدها علما وارتقاء

وقد كان تجدد المشتركين كثيرا أيضاً ولكننا لم نجب الا من أرسلوا القيمة سلفا الا افرادا متوا الينا بضمان بعض أصدقائنا على ما اشترطنا .

دعوة المنار والانتقاد عليه

أما دعوة المنار فلم تلق في هذا العام مقاومة شديدة ولكن بعض الجرائد حملت علينا حملة منكرة في أول العام لاننا كتبنا بعض مقالات في « الجريدة » التي أنشأها بعض السروات وكان الغرض من الحملة تنفيرنا من مساعدة الجريدة التي يقاومون سياستها ولم يتعرض الكاتبون الى الانتقاد على المنار أو الرد على مسائله وانما كان جلها نبزا بالالقاب كلقب « الخليفة الكاذب » يعنون خليفة الاستاذ الامام. وكتب فريد أفندي وجدي أربع مقالات في جريدة اللواء يحرك فيها الاضغان الجنسية الوطنية على صاحب المنار لأنه غير مصري المولد وقد عرف القراء سبب ذلك ولم نر له الا التأثير الحسن في قراء المنار على ما للنزغات الجنسية من سوء التأثير وحل الرابطة الاسلامية - وهذه النزغة هي العقبة الكؤود في طريق الدين بمصر وقانا الله شرها وكفى البلاد أمرها - وكتب الشيخ احمد المتوفي من الهند انتقاداً على المنار وصاحبه ، ثم رجع عن رأيه ذلك كما رأيت في هذا الجزء ، وسنشير في فاتحة الجزء الآتي الى موقف الاصلاح في مصر الآن

هذا واننا نختم صفحات الجزء بمثل ما دعونا اليه في فاتحته من وجوب نقد ما يراه أهل العلم خطأ في المنار والدعوة الى ما يرونه من الصواب فيه والتعاون على هذه الخدمة ، والله الموفق وله الحمد على كل حال